

نوبة وجودية



دار دريم بن للطباعة والنشر

العنوان : مدينة العبور - الحي السادس فيلا 8 مدخل 1

هاتف : 010003288596

بريد إلكتروني : Dream.pen92@gmail.com

نوبة وجودية

آراس حمي

الطبعة الأولى، القاهرة 2019 م

غلاف: عمار جمال العبد

تصميم فني: الديوان للتصميم وخدمات النشر

رقم الإيداع: 2019/15106

I.S.B.N: 978-977-6705-17-3

جميع حقوق النشر محفوظة، ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة إعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله بأي شكل من الأشكال، أو وسيلة من وسائل نقل المعلومات، ولا يجوز تداوله إلكترونياً نسخاً أو تسجيلاً أو تخزيناً، دون إذن خطي من الدار

نوبة وجودية

رواية

أراس حمي



عطسة قانونية

إنها الساعة الرابعة و عشرون سيجارة ولم يأتي هذا الملاك الطيب اللطيف الجميل ، وقد مضت ثلاث ساعات على رحيله وهنا أقول بسخط أن الزمن لشيء مزعج و مضجر ، فهذه الثلاث ساعات لم تكن تدل البتة على ذلك فأنا أصرّ على أن كل ثانية هي ساعة أو أكثر قليلاً كي أكون دقيقاً و غير مبالغ في التعبير عن اعتقادي ، كما أنني لست متطرفاً أو متشدداً باعتقادي حين أقول و أصرّ أن كل ثانية هي ساعة لأنها فعلا كذلك ، فالزمن كما أدركه الآن ، طويل حاد جداً في منظومتي الحسيّة و كما هو واضح جداً أنه لإطار مطاطي حول رؤيتي ، و لكن فلنعد إلى الواقع قليلاً دونما تفلسف فهذا الذي أدعوه "ملاكا" هو فعلاً ملاك بنظري ولا أقول ذلك على أنه غير مادي و حسي و بشري بل ألفظ كلمة ملاك تعبيراً عن وجوده في كينونتي ، فهذا الطيب قد مضى على رحيله ساعات طويلة ، لهذا كلّمّا مرّت ثانية (ساعة) يجبرني الواقع على أن أراه كذلك بل أنا مجبر على حبه كالعبد ، لا بل أنا عبد ، عبدٌ للانتظار ، عليّ و بكامل

إرادتي المصطنعة أن أنتظره عبداً ذليلاً مهاناً ، ثم فلنرى
لما عليّ ذلك؟

هذا المعلم الجميل الطيب الحقيقير اللأعرف ماذا
أقول عنه أيضاً ، سيعطيني مالاً تافهاً وهذا المال الذي
سأستلمه لن ينفعني في شيء فهو ذاهب فوراً إلى صاحب
البيت وأصحاب الديون الذين أتدين منهم ما آكله و
أشربه ولصديقي الذي أخذت منه مالاً لأدخن ، لأقع
نفسي بأني أتمرّد على كل سيئات الحياة ، أي أنني
مجبر على الانتظار كي آكل وأشرب وأدخن ، لا بل
أنا مجبر بكامل مسوخيتي أن أعيش للأكل والشرب
فقط لا أن أشرب و آكل لأعيش ، فالحياة هي كذلك ،
عندي..

يكفي ، فلننتظر هذا الملاك تعبيراً عن عدم وجود
احتمالات أخرى في هذه الطريق التي تُسيّرُك دونما
إرادة ، كما تريد هي ، بل ترسم لك مخطّط حياتك
من الطفولة إلى الشيخوخة ، كل أحلامك وأوهامك
ورغباتك ومشاعرك ، حتى عصبيتك لا تهزّ الطريق و
كأنّه تمّ أخذ كل الإجراءات لها ، كقوقعة لن تخرج
منها رغم معرفتك بضرورة الخروج ، ولكن هل أنا
الوحيد العارف بذلك أم أنّ الجميع في داخلهم يشعرون

بالسخط الذي يتحوّل تدريجياً إلى حالة عادية تمر مرور الكرام كسيرورة حتمية.

وصل المدير داخلاً من الباب ليترك الصمت يرتفع على النفوس الصاخبة، الكل تحرك حركةً لإرادية في مكانه دلالةً على وصوله، دلالة الخضوع والكذب على الذات فلم تعد الأرض مكاناً يتم تبادل الصدق فيه، يتم تقدير التعبير الصادق وهذا تمرّد سلبي على القانون المنحاز، منحاز إلى شيء أو طرف أو رغبة، لم يتم معرفته وفكّ أَلغازه بعد، كل الذين كانوا ساخطين ومتذمرين في ردّات فعلهم عادوا بسطاء و دراويش، و كل من دخل إلى غرفة الحساب خرج مبتسماً و ما أن يلتفت إلى العمال الآخرين حتى يتظاهر بضعف الحاجة انضماماً إلى الحشود المنكسرة من التاريخ كحجة يعتبرها قوية لكسب المقدمة، أما الآخرون ينزعجون من تصرف الخارج من الغرفة و خاصةً ابتسامته الحقيرة و لكنهم هم أيضاً يصبحون كذلك بعد الخروج، في الواقع أنا أشعر ب «جكرخون» أكثر من العمال الآخرين، حتى لو كان يبتسم فهو يبكي من داخله، هذا الفقير المذلول من الجميع خرج أيضاً كما الجميع، إنّنا في مدينة الابتسامة الكاذبة و المذبذبة، إنّنا فرديون

جهلاً واجتماعيون عنفاً، أطلقت زفيراً وأخذت حكماً
 أنني لن أخرج مثلهم، وأنني ما أن أدخل حتى أتكلم
 عن كل شيء، سأقذف كرات الحقائق في وجه المدير
 والمحاسب الغليظ، ثم سمعت اسمي يخلق، فدخلت
 ماسكاً أعصابي
 - ما هو رقمك؟

قال لي المحاسب وهو يتفقد الأرقام والحسابات من
 حاسوبه
 - ٤٠٠٠

نطقت الرقم بنبرة حاولت إيصاله إلى الانزعاج ولكنها
 خرجت نبرة ضعف و حزن، كان المحاسب يدخن وهو
 يحرك المال في يده ولم ينظر إليّ حتى، كنت أرتجف
 كأنني أسقط من أعلى برج وأعرف أنني سأموت.

- هذا حسابه يا سيدي المدير
 قال المحاسب للمدير ليبدأ هو بحساب المبلغ و
 وضعه على الطاولة، لم يمد يده إليّ حتى، أخذت المبلغ
 و استدرت نحو الباب وفي رغبة عارمة في الخروج بأسرع
 وقت.

- لا تتأخر غداً فلدينا عمل يجب إنهائه قبل السابعة و

النصف مساءً.

نظرت إليه فوجدته مبتسماً ابتساماً لا يمكنني الردّ
عليها إلا بابتسامة.

-حسناً سيدي

ثم خرجت ناسياً إصراري على قراري الذي عهدته
على نفسي قبل الدخول، كل الوجوه كانت تنظر إليّ
بانفعال قرفي، تظاهرت بل أخدمت الابتسامة و خرجت
من الشركة.

* * *

في اليوم الثاني استيقظت من كابوس ثقيل على
النفس، كدت أجن من هول المشاهد ورغم معرفتي بأنّه
كان حلماً، مجرد حلم، ولكنني ظللت أشكّ في ذلك،
لقد رأيتني أستيقظ صباحاً وأجد الجميع قد تحولوا إلى
ضفادع، عائلتي والمدير والجيران وكل من رأيتهم،
حاولت جاهداً إخبارهم بذلك ولكنهم خالفوني، حتى
ذهبت بأحد العابرين إلى المرأة ليرى جلده وأطرافه
المنتفخة ولكن وهو ينظر إلى المرأة قال بيقين تام (ها
أنت ترى أنني بشري والآن اتركني أذهب إلى العمل)،
لا يهم فهو ليس أكثر من كابوس غير واقعي النظر

فلألتفت الآن إلى كابوسي الواقعي، إنها الساعة الثامنة و عليّ الذهاب إلى العمل، إلى تلك الشركة الكئيبة المكتظة بأنفاس ذلك الثعبان (المدير) ولكنني أحتار دائماً بين أن أرى المدير هو المذنب أم العمال أو أن لا أرى أبداً، وماذا أعني بالرؤية؟ أهي حقاً لي أم مجرد توهم يحدث لي مثلما يحدث للمدير و العمال معاً، فليكن، إنني الآن أمام قضية شخصية أكثر إذ أقول أو أسمع أحدهم من باطني يقول (ماذا لو لم تذهب؟!) حقاً إنها لفكرة لذيدة للغاية فيما أن العمل اليوم كثير و أنا لذي قضية إنسانية فعلي الدفاع عن نفسي بأن لا أذهب إلى العمل، هكذا أنتقم منه شر انتقام، بل أسحقه و أجعله يئن و ينتحب كي أذهب إلى العمل، عدت إلى النوم متلذذاً بنعمة السرير الدافئ و لكتني فتحت بصري قبل موعد العمل بدقائق تكفي لأصل إليه كأن منبه ما قد رنّ في عقلي، حاولت جاهداً العودة إلى النوم ففشلت فشلاً ساحقاً، و إذا بي أسمع صوت رنين الهاتف.

-لقد تأخّرت دقيقة تكفي لرؤيتك وقحاً..

-سيدي لا أستطيع المجيء اليوم

-ماذا تعني بذلك؟

- أنا مريض جداً، و أعتذر عن مرضي

أطلق زفيراً و شدد من نبرته:

- كلنا مرضى و علينا أن نشفى بالعمل.

- ولكن مرضي يُشفى بالهدوء

-ها .. خذ الهدوء..

و أغلق في وجهي، وقعت في دوامة قلق جديدة (ماذا يعني بجملته الأخيرة؟) أسيفصلي عن العمل أم مجرد ردة فعل، لا يهم حقاً، مضت دقائق و أنا متمسك بالسرير لا أتحرك و لا أغلق بصري، رأيتني أقوم و ألبس ثيابي و أخرج راكضاً و أتصل بالمدير..

-سيدي أنا في الطريق و أعتذر عن ذلك أيضاً

-ياااه، حسناً حسناً .. فلتسرع

كل ذلك حدث دون أن أدري كيف، بعد المكالمة تماماً أبصرت ما فعلته، ألم تكن لديّ قضية فما أنا بفاعل؟!؟

تنبّهت، غضبت، فتحت يديّ للشركي تتوقف هذه المهزلة اللاإرادية و اتصلت مجدداً

-سيدي، سيدي أنا مجبر أن أخالف كلامي مجدداً إذ لديّ أصدقاء قد وصلوا من دولة ليذهبوا إلى أخرى وهم الآن هنا في المطار و عليّ مقابلتهم، هل عليّ الاعتذار؟

سمعت صمتاً رهيباً، صمتاً لم أفهمه، قد يكون من أعراض الصدمة عن تمردني أو تدمراً أو وعداً بالانتقام أو أنّ المدير مات، موتاً لا أشك أنه انهيار مؤجل لحياتي و حياة كل العمال، ورغم كل الاحتمالات المفتوحة ظلّ الصمت رهيباً بغموضه، ثقيلاً بلحظاته، مزدوجاً بيني و بينه، كشقّ بين الوجود و المعرفة، أقفلت المكالمة و عدت إلى البيت.

دخلت، عانقت السرير محاولاً النوم و إذا بالهواجس تعوي من كل الجهات في رأسي، قلق، قلق ثقيل، المكان يحاول طردني منه بصخبه السيكلوجي، حتى هو صار عدواً للإرادة، تلك الإرادة التي نتشبت بأملها في المستقبل، ولكن هذا لا يعنى أننا لسنا آلات في الحاضر، نعمل كالآلات لنصل إلى رغبات آلية و من دوافع آلية، و على ذلك بتنا نأكل و نشرب كي نفعّل ذلك، مشتركين في طعن الذوق، رافعين الصوت فوق الفن و نعمه، فوق هذا الضوء الداخلي الذي يصارع التاريخ الديناميكي لوحده، منذ أول رؤية للفكرة، منذ التصور البدائي، أ أقول أننا نرضخ أكثر للقوانين و القيود؟ ربما، أعني أين نحن أكثر من أين كنا، من نحن أكثر ممن كنا، و هل يجب جمع كل الأحكام

لنطلق سؤالاً في الحاضر أم الابتعاد عن الأحكام لفرض سؤال أولي جديد ، بكل جدية أحاول التهرب من روح التفاهة المصنوعة يدوياً لسلب السؤال من كل فرد ، عائداً إلى فرديتي لأتذاتت تمرداً ، يعني سأنام الآن نوماً رائعاً هادئاً ، كما أتخيله مستحضراً مبدأ امتلاك الوقت فهذا ما نحاول الفوز به ، ولكن هيهات ، ما أن نمت قليلاً حتى رأيت عقرباً يمشي على صدري ثم يقصد عنقي و يتمركز على أحد أطرافه ، من حسن الحظ كان حلماً ومن سوء الحظ كان كذلك ، بعدها حاولت جاهداً أن أنام ولكن الفشل تربص بي كلعنة أبدية ، قمت أحاول قراءة كتاب ما ، نظرت إلى المكتبة فوجدت أن قصة (حلم رجل مضحك) تشدني نحوي فلربما تفسر كيف يمكن أن تكون مضحكاً من الخارج ومفجعاً من الداخل ، كيف تبحث عن تلك الجنة ثم تهلكها و أنت كنت الخير ضد الشر ، فما الخير إذا لم ترى الشر و ما الشر إذا لم تقم به ، إن الموعظة لم تعد ذات قوة كالسابق فلقد قتلنا الخير الذي وصل إلينا من الماضي و سنقتل الخير الذي سنورثه إلى المستقبل ، لا الخير في ذاته ، إنما ما ندعيه و نعظه لغيرنا .

بعد قلب بعض الصفحات شعرت بسوء ، بضيق و بثقل

مهول على نفسي، كفأر اعتاد أن يكون في المستقع،
وإذا بي أركض نحو العمل دون تخطيط عقلي جيد،
وصلت، دخلت، نظرت إلى الجميع، كانوا يعملون، قلت
في نفسي إنها اللحظة الحاسمة، علي أن أغير التاريخ، بل
أدمره، علي أن أغير شيئاً لا ينفك عن خنقي، كسلسال
كلب، وإذا بي أصرخ

-أيها الرائعون، يا أصحاب النشوة واللذة والغريزة،
يا أصحاب العمل والخطة والهدف، يا أصحاب الزمن و
المكان، الأمس والغد، الليل والصبح، اللسان والعقل
والحكم، إنني هاهنا..

(وهنا خرج المدير والمحاسب من المكتب باحثين
عن مصدر الصوت أو الضجة)

وقد تمردت على أن أكون مقيداً، على أن أكون
عبداً، على أن أكون لغيري، لشيء ما أعلى من غيري،
وقد عدت أخبركم أنني تركت العمل فلتتركوا أنتم
أيضاً ولنعيش بعض الوقت ونفنى بإرادة، بمحاولة انقلاب
على الأكيد، وإن لم تفعلوا ذلك فلا يسعني إلا أن أقول
أن معاطفكم تثير كراهيتي، تثير النفور الأعلى،
معاطفكم ستكون أسياذ الحكم إذا خرجتم الآن،
وأنت أيها المدير، المسير من مديرٍ ومديرٍ ومديرٍ،

إنني ألعن السلالة، ألعن هذه الجنة الجحيميّة، وألعنك
لعنةً أبديةً أشارك فيها محاسبك الغليظ، وشكرا
لاستماعكم يا سادة.

في زهول عارم، في صمت عارم، وإذا بي أتحمّس
الدم خلف رأسي، سقطت أرضاً، رأيت رجلاً خلفي، هو
جكرخون.

* * *

البزق

اقترب زوزان من الشارع المفضي إلى متجر الآلات الموسيقية، برهبة من القادم، برهبة تكاد تشوش ملامح العالم في داخله، كما لم يكن يمتلك رغبة تامة للمضي على طريق قراره، لكن استمر في المشي دون أن يضع حداً لتلك الرغبة، وقف باتجاه المتجر وقفةً غير مستقيمة، ضعيفة، متكأً على العامود الذي كان بجانبه، وفي لحظة انفعال قال لنفسه (فليكن)، ثم قصد المتجر وهو يمشي ضرباً على الأرض، دخل ومع دخوله بدأت اثار الانفعال يتلاشى من داخله

-صباح الخير-

نظر إليه صاحب المتجر نظرةً متأكدةً من تبؤها

-رجل آخر يرغب ببيع آلته-

اخرج زوزان البزق من بيته الموسيقي وقال بصوتٍ

مرتجف

-هذا البزق يرغب بالابتعاد عني-

اقترب منه صاحب المتجر

- ما اسمك؟

- زوزان

- اسمك غريب إذ لم اسمع بهكذا أسماء من قبل!

- هو اسم إذا سمعت به أم لم تسمع به

- لكنني ببساطة لم اسمع به

قال ذلك وهو يترجم سخريته إلى لغة و حركات

جسدية

- وهذا لا يعني أنه لا يمتلك صوتاً!!

قال ذلك متفاخراً باسمه

- حسناً، حسناً هات ما عندك

وضع زوزان آله على الطاولة، نظر إليه صاحب المتجر

بعجرفة و قال متهكماً ساخراً

- ما هذا يا رجل، من أين أتيت بهذه الجثة؟

شعر زوزان بالإهانة و إذا به يرفع صوته بقسوة

- من قلبي، من بيتي، مني

أحس صاحب المتجر أن الحديث سيوجه إلى غير ما

يريده فعاد يحاول التظاهر بالاهتمام

- هل له صوت؟

اخفض زوزان صوته بقليل من التواضع
-نعم، يمكن سماعه من داخل الغرفة شرط إقفال
الأبواب، و له صوتٌ جميل

- ما قيمته إذا لم يسمع من الخارج؟
-الصوت الذي يسمع من الخارج ليس تماماً كما في
الداخل، و الخارج إذا كان مفتوحاً كثيراً ستتلاشى
قوة الصوت

-إن حججك ضعيفة، كل الآلات في يومنا تسمع من
الخارج، هذا عن الصوت فما بالك بالشكل؟!، أنظر
إنه قديم جداً، فلو وضته بين الآلات فستكون الصورة
الكاملة غير عصرية و متناسقة

-ها أنت تقول إنه متميز بشكله عن باقي الآلات
-بل أقول إنه زائد عن الحاجة ولا له قيمة
وقف زوزان و النار يلتهب في داخله
-كفاك تفاهةً، هذه الآلة لها قيمة لكنك لا تدركها،
فلو لم أكن بحاجة إلى المال لما بعته
فكر صاحب المتجر قليلاً ثم قال لنفسه (ساشترية و
أكسره أمامه)

-عليك بالهدوء فلنصل إلى نتيجة

- سأبيعه بخمسين دولاراً
- لكن هذا كثير يا زوزان!
أسرع زوزان يضع البزق في مكانه وهو يشعر بالسعادة
و إذا بصاحب المتجر ينطق بصوتٍ خافت
- لا تتعجل ، ساشترية
تفاجئ من ذلك ثم نظر ملياً في ملامح صاحب
المتجر ، و إذا به في لحظةٍ لا تفسر يرفع البزق عالياً و
يرميه على الأرض
- لم فعلت ذلك ، كنت ساشترية منك !
- غيرت قراري
- الآن؟
- سأخلق بزقاً جديداً و بيدي هاتين
* * *

نوبة وجودية

مبللون نحن، أنا وهي و كل أشباهنا التي نخفيها في
كياننا ، فالיום كما عادته يصاحبه مطرٌ خفيف ، يبّل
ثيابنا ، جسدينا ، ملامحنا الطفولية ، عمرنا ، حتى إنّه
يبّل قلبنا الذي كان صافياً في الهدوء.

أشدّ يدها و ندخل الباص بكلنا ، ثم نلتفّ حول بعضنا
في إحدى زواياه ، فلنا خصوصيتنا حتى في الزحام ،
كما إنّنا في الزحام نزدحم بالمشاعر الهادئة ، و نخفي
تحت تلك المشاعر شعور الخوف الذي لا ينفكّ يمتزج
بنا ، ولربما هو من يزدحم بأقنعتة الجديدة ، و لكننا في
سباتنا النقيّ نتعانق و نمتزج كالمادة و الماهية ، أخبرها
في أذنها بعد أن أسكب جرعةً من رائحتها في جوفي
(إنني الآن أتمرّد على كل شيء ، فيا حبيبتي من
الصعب أن نكون واعين في الباص) ،

تقول لي (لم؟)

أرد عليها (لأن الباص مجازٌ ثقيل)

لم تفهمني و عدنا نكمل سيرة العناق ، ولكن الزمن

في مثل هذه اللحظات يغدو نسبيًا جدًا إذ هو يلهث بكل صلابته من الوعي، وإذا بنا نصل وها نحن نكمل المشوار بكل ساعاته وأحاديثه وأحداثه، وها نحن مجددًا نجلس على إحدى الكراسي ننتظر الباص.

كنا نضحك حينها، من كل شيء، حتى من أنفسنا كنا نضحك، كنت كما المجنون بين الدقيقة والأخرى أقترب منها وأشم رائحة عنقها الطيب، ما شبت أبدأً وما كانت هي تنتهي أبدأً، أخبرتها بكل عفوية

(ما أن نصل إلى البيت سألتهمك)

قالت لي مباغته

(لا لن يحدث ذلك، ابتعد عني)

ها هنا نبدأ القصة، أو هي التي تبدأ بالتماهي بنا، من خلالنا نحن المقيدين بالمادة، فكل قصة لا تُسرد إلا لذاتها ونحن مجرد أساليب وُجدت لتكون وسائل نقل، كما هو ظاهرٌ في هذه البقعة الجغرافية الصغيرة من الأرض أنني بكل أكواني أتبعثر في دهاليز المعنى، كنت كالأرض التي غرز الشتاء أنيابه فيها، كنت الحقل المقبل على الجفاف، و صرت جفافاً، أو أكثر بقليل، فأنا غرّدت بعيداً وهي سمعت صدى ليس لي فيه

أيّ حس. أنا كنت أرغب، بل أتهيّج لأحضانها في البيت
حضاناً أوسع من الطبيعة، وهي ظنّنت أنّني أرغب في
ممارسة الغريزة، آه، كم درجة أخذت أبتعد عني، عن
الهدوء الذي يتجلّى في الذات، صرت آخري، هكذا في
ثواني، أو أقل من ثواني، نظرت حولي فأبصرت المكان
وهو يغيّر جلده، رأيت الأبنية تذوب و الشوارع تضيق و
الأشجار خريف و البشر دمى مبرمجة من المادة. كنا
جالسين في صمتنا، هي لا أعلم بماذا تفكر و أنا أسمع
صوت الانفجار من داخلي و لكنني رغم ذلك لم أشعرها
بأي شيء، ولا تركتها تسمع ما يجري بداخلي، و عدنا
نكمل الضحك الذي صار كاذباً، هي تدرك الكذب
الذي يتلألأ في الضحكة و أنا أيضاً أدركه و رغم ذلك
نظلّ نضحك و كما أنّ تلك النقطة التي غيرتني لم أوضح
لها معنى جملي و أكملت معها اعتقادها الخاطيء عن
المعنى الكامن في تلافيف النبرة و الكلمة. لم نجلس
كثيراً، وصل الباص سريعاً، أخذنا مكاناً أيضاً ولكن
هذه المرة بيننا ما يقارب ربع متر، ربما بيننا مليون سنة
ضوئية، لا بالشعور إنما بالاعتقاد.

تقدّم بنا الباص بضع أمتار ثم دخل في زحام لا أول له
ولا آخر، ولسوء حظنا نحن المجازيون، نظلّ وأقفين في

كل شيء، لم يكن في الباص أي كرسي فارغ، ظللنا واقفين على أنفسنا، على عمرنا الذي يُسكَّب في وعاء الوجود، في هنيهة تكاد تكون معدومة نسبةً للزمن الكلي للوجود، كنت في هذه الأوقات العصبية أريد أن أنسى مجازي الذي أخذته على عاتق المعنى لكلمة "باص"، دخلت الخيال لأكون أي مشهدٍ آخر بعيداً عن الحاضر، هكذا دون أي تخطيط أو دراسة أو رغبة رأيت فجأةً بعض الشفرات تخرج من تحت جلد معصمي، فوق كفي تحديداً، وشفرة لم تخرج، تمردت حتى وصلت إلى كتفي و لكنني أخرجتها بعد جهد، لم يكن المشهد إلا مجازاً آخر، ولأنني أعرف أنني لا أستطيع التصنع في ذاتي كي أكذب على ذاتي، استسلمت للحاضر و عدت بخيالي إلى الباص الباكي في الزحام. كانا حلقي و فمي يجفان ببطء كما كان صدري يزداد إنكماشاً، قالت لي صديقتي بإحساسها المرهف

- ما بك؟

- لا شيء، فقط أنا أرى كل شيء بوضوح

- ماذا تعني بكل شيء؟

ملاحني كانت تنقبض في كفّ الضعف و قدماي بدأتا تختلان قليلاً، عدت أقول لها بعد لحظات سريعة:

- أنا أرى أنني موجود، أي من الوجود، من المادة.
 لم تفهمني أيضا وتركتها لأعود إليّ، إلى الباص
 الخانق المزدهم بكائنات لا أحد يشعر منها بغيره،
 كلنا أبناء الغريزة و المادة، أبناء هذه المادة الحرّة من
 الخيار اللامرئي، المسجونة في الاختيار، المادة التي لا
 تعني أيّ شيء، ولا لها أيّ معنى، الوجود الذي أطلقنا
 وسياخذنا كالأسرى، و نعتقد أننا أحرار، متوهمون
 نحن، أن الباص، هذا الباص تحديداً (46K) هو
 المجاز الحقيقي للوجود، هو كما هو، يخنق من يدرك
 وجوده، و يترك الكائن مسلوب العقل متلذذاً بوهمه،
 يشتدّ أكثر بسطوته و عنفه حينما يدخل في الزحام،
 أي أنه يخبرنا دون أن يتكلم أننا لو تحررنا من الوجود
 فسندخل في سياق وجود آخر وهكذا إلى ما لا نهاية،
 هكذا بدأت شذرات الكآبة تعصف بكياني، قالت لي
 صديقتي مجدداً

- ما بك؟

- لا شيء، مجرد نوبة وجودية..

و عدنا صامتين نرى الكون من الخارج، كما هو،
 خالياً من الحس، من اللغز، من الحيرة، ولكنه مكتظُّ
 بالقلق و العجز، و مفرط في العدم، منفلتٌ عن تكويننا

له، عن أن نختار له ماهية يلبسها ويتزين بها، ماهية تكون يقينية إلى الأبد، ويا ليتها كذلك، نحن نريد ماهية لا يمزقها الشك أبداً وفي الوقت نفسه تكون ماهية عاقلة ندركها بوعينا المطلق، ولكن هذا لا يحدث، المعجزة فجوة في العقل، هكذا أخبرنا الوجود بدلالاته.

وصلنا إلى البيت بعد ساعتين، خرجت من الباص لاهثا، وقفت لدقائق أسترد أنفاسي وطاقتي

قالت لي وهي تطبطب على قلبي

-ها قد خرجنا من الباص

-نعم خرجنا و لكن تركنا أشياءنا الواضحة فيه!

* * *

لا جديد

- ما هذا الذي انفجر في صدرك ؟
- لا شيء ، بعض الأشياء المكتومة ، ربما أكثر قليلاً
- إنه يشتعل ، إنه يشتعل!!! ، صدرك ، هذا ، دخان!! »
- لا تخف ، بعض الضحكات تحترق ، بعضها فقط
- ما هذا الصدري يا رجل؟ ، ماذا يوجد في داخله!
- يا صديقي ، هذه الانفجارات و الحرائق عملية
تخليية للصدر ، اللعب بالذكريات ، أو يمكنك أن
تسميها الحالة الحنينية
- ماذا تعني؟!
- هذا الصدر فيه فراغ ، قليلاً ، ربما كثيراً ، لا ،
سأكون واضحاً معك ، لا يوجد فيه شيء سوى الفراغ ،
فراغ موحش ، فراغ مكتظ باللافراغ.
- ولكن ، ولكن..... ، كيف تنبض ؟
- هه ، ومن هذا الذي ينبض!
- ومن هذا الذي لا ينبض ؟
- إنه ، أأأ..... ، هو الذي عرف إنه لا ينبض ، لم يكن

الموضوع قاسياً إلى هذه الدرجة، نهض يوماً ما من وهمه وعرف إنه لا ينبض، هكذا ببساطة قاتلة، بفاه فارغ.

-ماذا تعني بذلك؟

- لا شيء، لا شيء، فلتذهب إلى الجموع النابضة، هناك، ها هم ينتظرونك، فلتذهب.....

- و أنت، ماذا ستفعل؟

- ما أفعله كل يوم، سأحاول التلذذ بالفراغ

هذا ما كنت أقوله لنفسي ومع نفسي ثم حدث ما لم أتوقعه، هكذا، دونما إنذار، والمثير بحد ذاته أنه حدث فيه من الغرابة ما يوصل الإنسان إلى الحيرة إذ أنه يمتلك غموضاً شديداً العتمة وهذا هو الذي يشدّ العقل ليتوغل فيه أكثر من أن يعتبره مجرد حدث عابر، و لكن من الجهة الأخرى أعود إلى ذاتي، أي أفكر في كذات، لربما تكون الأحداث هي مرايا للذوات، ربما، ها أنا أقول ربما إذ فيه حيرة و لكن لنرى ماذا حدث فقد يعتبر شيئاً تافهاً في نظركم، أو تافهاً في حقيقة الأمر، كنت كما كل يوم جالساً في الحديقة التي تحاول احتضاني بطبيعتها المصطنعة المبتذلة، تحاول أن تقنعني بأن الصدفة قد تقرب شيئاً جديداً من حياتي،

يخيّل إليكم أنني مولع بالصدف، بل أنتشي حين تحدث صدفةً لم تكن في الحسبان، أي مفاجأة غير متوقعة بتاتاً، ولا يهم كيفما ستكون المفاجأة، حتى لو كان الموت قد بدأ يأكلني فهذا سيكون مثيراً بالنسبة لي إذ أنني وكما تفهمون من كلامي فارغ جداً، حياتي فارغة، نظرتي للحياة مفرطة في الفراغ، ذاك الفراغ الذي يشبع الذات و يجعله يتلذذ بكونه لا يمتلك مسؤوليات و رغبات و أمنيات و أحكام و مفاهيم، حتى أنّ الحياة كحياة لم تعد تهمني إذ أنني ببساطة فارغ حتى من الحياة، و لكن تحاول بعض الأحداث إرجاعنا إلى حزن الحياة بمؤثراتها الغامضة، بأدواتها الشريرة، هي لا تريد إلا أن نكون عبيدا في عرشها العنيف، كما حدث معي حين كنت جالساً شارداً في فراغي الهادئ مبتعداً عن العالم الخارجي بكل جماليته و قيمه و ماديته و شخصياته، و طبعاً كنت أدخن الهواء مباشرة من أنفي البسيط، ولم أتقيد يوماً بالزمن، فها أنا هذا اليوم أخرج من الحديقة و لا أعتقد أن الزمن كان طويلاً، خرجت ببطء شديد و عند ذاك الممر الذي أخرج و أدخل منه رأيت أو نظرت لا إرادياً إلى من كانت تدخل الحديقة، لا أستطيع التأكيد أنني نظرت بشهوة و لا أنّ جسدي أجبرني على

ذلك، قد يكون محض شرود أو توسيع آفاق النظر كي لا أصطدم بأحد هؤلاء المشردين البؤساء، وفي اللحظة التي رفعت فيها عينيّ وإذا بهما تلتقيان بعينيها، قد تكون هي أيضا نظرت للسبب ذاته، وهذا الحدث، لا أعتقد أنه دام أكثر من لحظة، لحظة واحدة فقط، و بعدها تماماً، بعد خروجي ودخولها إلى الحديقة لهتت مسرعاً إلى البيت، بأقصى طاقة ممكنة، وكان نوبة في داخلي انفجرت كالعاصفة، نوبة حياتية، أو نوبة غير فارغة، أو تمتلك شيئاً غير الفراغ، ولأنني أردتُ توضيح شيءٍ ما لذاتي، وجدت أول فكرة، تقول لي هذه الفكرة.....

فتحت الباب ذاهباً إلى القبو المكتظ بالأشياء القديمة، من بعض مقتنياتي الطفولية مع القليل مما تبقى من ثياب عائلتي الميتة، أدخلت رأسي في دهاليز الأشياء باحثاً عن شيء ما، ولا أعلم ما هو، كل ما هنالك أنني أبحث لا أكثر ولا أقل، ولم تمض دقائق حتى وجدت مرآة كانت لأمي حين كانت حية تعرض جسدها لجسدها كلما أرادت الخروج للعالم، أخرجتها وذهبت إلى غرفتي، ولكنني بقيت أراقب هندستها وهي ملفوفة بالورق، تأملتها وكلي شوق و نفور منها، شوق و نفور

معاً، أقبل الليل ودقت ساعة الواحدة بدأ الشوق يغلب
النفور، وقفت بكل ثقة شرعت أنزع الورق عن المرأة وأنا
مغمض العينين كي لا أرى نفسي إلا بعد أن أوكد هذه
الرغبة في داخلي، وفي لحظة واحدة، مباغتاً نفسي،
حررت البصر، رأيتني، تأملتني، فحست التجاعيد وهي
ترقص على وجهي، وملامحي الفارغة، الباردة من كل
المشاعر والأفكار، والشعر الذي أخذ كل ما يمكنه
من جلد وجهي الملون بالأصفر، أو هو الصفار عينه،
العيون الناعسة، الشعر الطويل، الذقن المهمل منذ ما لا
أعرف، شيئاً فشيئاً بدأت ألصق التفاصيل ببعضها لأرى
من أصبحت الآن، من أنا بعد كل هذا الفراغ اللذيذ،
ولكنني للأسف بعد ألف خيبة ووهم وجدت أن وجهي
لا يعبر إلا عن غرابة ودهشة مشهد نظري إلى وجهي، لا
أكثر أبداً، والآن، في هذه اللحظة التي أكتب فيها
هذه القصة أقول وأفصح أمري، أمر هذا الحدث، إذ هو
أيضاً مر، دونما أثر، هذا الحدث الذي اعتقدت أنه يملك
كل المقومات الأساسية ليغير شيئاً ما في..

* * *

قبل الموت بقليل

تفتح البصيرة، تنظر حولك، تبقى مستلقياً على السرير
لخمس دقائق تستعيد فيها أحداث مشاهد الكابوس :
خبزٌ ناضجٌ يخرج من الفرن ولا يكسر أسنانك الأمامية،
تتهض وتمارس القليل من الحركات الرياضية وتساءل
الجسم :أأنت جاهزٌ لتحمل فراغ اليوم، تقصد الحمام،
تعطي الفراغ ما حملته من أشياء مذ البارحة، تخرج و
تغسل يدك بالصابون، تغسل وجهك بماء الصباح، تعود
لغرفتك و تفتح النافذة و تبتسم للشمس فتنادي العاصفير:
أين قهوتك، ولأنك كسول بعض الشيء، تذهب للمطبخ
وتعد القهوة متكأً على خمولك، تعود بالكوب إلى
غرفتك ثم تخفض أصوات ملائكة الصباح، تفتح
التلفاز، تغيير القناة لأخرى، تصادفك قناة الأخبار تنظر
لشريط الماشي على طرف ثوب التلفاز (عاجل:العالم
يزداد فرحاً ورفاهيةً، تقول لنفسك بحيرة: أين هو الموت
الآن، تفكرو وتفكرو وتفكرو ويقطع تفكيرك رغبة
الخروج و البحث عن الموت، تلبس جواربك، تدخل أزرار

قمصانك في ثقوبها ، ترش عنقك بعطرك المفضل ، تلبس
 حذاءك اللامع وتخرج ناسياً إغلاق الباب ، تمشي قاصداً
 ساحة الثرثارين ، ترى على طرفيك المحلات المتنوعة بين
 المطاعم الفاخرة و المكاتب الباهرة والأفران الساخنة
 والصالونات الفارهة ، تصل إلى الساحة فتقع عيناك على
 صديقٍ جالسٍ على مقعدك الخشبي المفضل فتقصده
 :صباح الخير صاح .يرد عليك بوجهه العبوس :أين الخير
 ونحن لم نجد الموت بعد ، فتزد عليه :أصبر يا صديقي
 لربما سنجده عما قريب في مكانٍ و زمانٍ ما .تجلس
 بجانبه ، يبدأ بحديثٍ مبعثر فتدرك إنه قد تعب من الفراغ
 فتقطع حديثه :هيا بنا يا صاح سمعت ببناية جديدة لم
 تضع الدولة شباكاً تحتها ، يقفز فرحاً ويمسك يدك
 ويلحن جملته القديمة :هي بنا نموت ...لقد تعبنا من
 الرفاهية... لقد هرمننا من الفرح.

تركضان وتركضان صوب بناية الموت بفرح ،
 تصلان وتجدان البناية مكتوبٌ عليها :كل قفزة بحلم
 جديد ، فيعبس صديقك ويقول :لقد حققت كل الأحلام
 فمن أين أجلب حلماً جديداً ، فتصلك فكرة ذكية ،
 تمسك يد صديقك وتدخل البناية فتجدها خالية إلا من

مندوب شركة الموت.

يسألك عن حلمك و عن حلم صديقك ، ترد بثقة كبيرة كذبتك الطازجة :أنا وصديقي نحلم بالحياة و نريد تحقيقه ، يقول لك :أسمعت بالأرض؟ ، فتتفي ذلك بهز رأسك ، يرد عليك :جهزا نفسيكما للرحيل إلى الأرض ، فتفرح و تفرح و تفرح ، ثم تجد صديقك يسقط ، فتحبس أنفاسك و تقول أنا أيضاً جاهز فتسقط أنت أيضاً في غيبوبة الرحيل ، تمر ثانية أو ربما أقل ، تجد نفسك في الأرض ، تنتظر حولك ترى البياض لونٌ للمشهد ، وترى خيطاً عريضاً موصول بين بطنك و فتحة لجسد كائنٍ آخر ، و ترى كائناً غريباً آخر يدنو من الخيط ليقطعه ، تلاحظ بوجود رغبة بالتكلم في داخلك ، تحاول ، تتحرك أوتارك الصوتية لتصدر صوتاً غريباً يشبه أنينك من الفرح في عالمك السابق ، تمر لحظات و دقائق ، يلفك قاطع الخيط بقماش و يعطيك لكائنٍ آخر ، فيهمس في أذنك :هذا قيدك الأول ، وهذا قيدك الثاني و هذا قيدك الثالث و هذا قيدك الرابع..... ألخ ، يعيدك القائل إلى كائن الذي كان مربوطاً بك ، فيقبلك و يحضنك ، بعد هنيهة يتكون سرابٌ على سقف الغرفة كوجه مندوب

تلك البناية، يقول لك ساخرًا: أهلاً بك في مملكة الموت
البطيء، إذا لم تجد ما تحارب به الفراغ هنا فتشبت بأحد
القيود، هذا أفضل عوالمنا الممكنة...

* * *

نبوءة في التسول

ثقيلٌ أنا، أكثر من اعتقادي بذلك، أكثر من كوني حقيقة ثقيلة على نفسي، أكثر من الوهم المتراكم في عقلي، ولا أعتقد أنها مبالغة مغفلة لذا علي الاعتراف بذلك على مدة اليوم كله، كلما أفعل شيئاً أو أفكر في فعل شيء أو لا أفعل شيئاً أو لا أفكر في فعل شيء، و أنا ساكن بكل هذا الفراغ الممتلئ بالفراغ أكون ثقيلاً، هذا لو تيقنت بأنني أتأمل في الفراغ طبعاً لعدم وجود يقين بأنني على معرفة حقيقية تدفعني لأتأمل بواقعية، و لكن رغم كل هذا أو كل هذا يدعمني بطريقة لأكون ثقيلاً لدرجة أفرط فيها حتى أصل إلى مستوى سريالي بعيدا كل البعد عن الوجود، أي أن أتعالى على العقل و منطقهِ و تفكيرهِ، قد تعتبرون ذلك من السفسطة و لكن أنا أعتبره الاتحاد مع اللاوجود و تحرر خيالي عن أوتاد الزمكان و الوجود ولكن رغم ذلك أظل ثقيلاً أو كل هذا يجعلني كذلك،

زد على ذلك أو لنتكلم بسطحية أكثر، أنني متسول سيئ، لا أهين التسول بهذه العبارة ولكن أنا أرفع من

قيمته لأضع هذا العمل فوق قوانين الطاقة الفكرية ،
لهذا أنا لا أفعل شيئاً يُحسب فعلاً ، حتى أحياناً أفعل شيئاً
لأتخلص من وهمية السكون الداخلي.

و هذا ما دفعني للبحث عن عمل أراوغ به وجودي
الوهمي في هذا الموت المستمر ، و لتصبح ملامح وجه
هذه القصة أكثر وضوحاً أنا أعيش في مدينة كبيرة
تسمى اسطنبول ، هي مدينة يمكنك فيها أن تصبح من
تريده في غضون شهور ، حتى لو كانت رغباتك تدفعك
لتصبح متسولاً رائعاً ، أو كردياً متسولاً في الشرق
الأوسط.

إنها لمهنة رائعة أن تكون كردياً و متسولاً في الوقت
ذاته ، هذا هو البطل الأسطوري الذي نحلم به نحن
الأكراد في وطننا! ، لا ، ربما نحن كذلك ، فلدينا من
الغرور ما يجعلنا كذلك فعلاً ، غرورنا الوجودي يجعلنا
نتسول ثم نتبول على ما حصلنا عليه من أشياء هي في
الأصل لنا! ، نقول هي لنا لأننا وصلنا إلى أعلى درجة من
الغرور في الركوع المستمر لقطعة خبز ، لا أكثر من
ذلك و لا أقل.

و لكن كل ما أقوله الآن هو كي أمّر الصفحة
الأولى من القصة لا أكثر من ذلك. حقيقةً لربما أنا

فعلاً ذاك الرجل الذي شرحته قبل قليل، المتسول الكردي الثقيل على ذاته و على وجوده و على الآخرين المساكين!، إننا نشفق على الجميع لأنهم ليس عندهم ما يدفعهم ليصبحوا مثلنا متسولين، إننا ندعوا كل يوم الآلهة لتجعلهم مثلنا و يعلو شأنهم في الوجود الحضاري، و نظل ننتظر قوة خارجية تفعل ما لم نستطع فعله، ها أنا أفعل ذلك بكل إنسانيتي، يا إلهي ارفع رؤوسهم و ادمع جذورهم و جد لهم أصالة تجعلهم متسولين.

لنعد إلى القصة التي لم أكتبها بعد، أنا رجل كردي ثقيل أعيش في إحدى المناطق الفقيرة في اسطنبول، هذه المنطقة مكتظة بالفقراء و المتسولين الجبناء، معظمهم يملكون تلك الفكرة التأملية التي تقول لهم (أنتم أنبياء لهذا أنتم فقراء لهذا الحد) و يصدّقون ذلك فعلاً! أو ربما نحن كذلك.

و في يوم ما و أنا أتسول السكون اتصل بي أحد الرفاق، هذا الذي نقول أنه من الفئة التعيسة المسحوقة و قال لي أنه سمع عن حملة أمنية مكثّفة لضبط الخارجين عن الوجود و خصوصاً الفئة الكردية الفقيرة المتسولة، و بعد ذلك بقليل شعرت بذعر مبالغ فيه و كأنني كنت أنتظر ذلك لأخاف و لتدعم هذه المكالمة فكرة النبوءة

و الرسالة الإنسانية الفقيرة المغرورة!

وهنا بدأت فكرة النبوة تنضج أكثر و بسرعة فائقة
وكلّما مرّت لحظة ينفجر فيّ ما يجعلني أتيقن أكثر
من السابق أنني حقاً نبي التسول و السكون، مما يبث
فيّ نشوة و لذة في التسول لأنني صرت نبياً جديداً و الآن
على كل مشاعري الركوع لهذا الاعتقاد، هكذا بدأت
المشاعر واحدة تلو الأخرى تركع بخنوع و لذة لاعتقاد
النبوة و لكن في الأخير و جدت من لم يركع له و تعالى
عليه بغرور وهو «الخوف»، هذا الشيطان اللعين ظلّ
منفرداً برأيه و في خلاف مع اعتقاد النبوة.

و بدأت الأيام تمرّ، هكذا في صراع دائم بين الخوف
و النبوة و لكن في الأخير انتصرت النبوة بطريقة مذهلة،
لقد فازت في تحويل الخوف إلى طاقة تدعم الفكرة
التأملية لها، أي أنّ الخوف صار الوجه السطحي لها
وكلّما انفجرت فكرة النبوة في التسول بدأ الخوف
يقول لها يجب أن تخافي من افتضاح أمرك يا سيدتي
الحقيقيّة. و مرّت بعض الأيام في تصالح إيجابي بينهما
حتى تلقيت رسالة من صديق يدعوني إلى لقاء مهم في
منطقة أخرى و هذا ما جعل اعتقادي يدخل في أول
مبارزة مع الوجود الخارجي و هو أن يظل في الداخل ولا

يخرج أبداً فهذه هي طبيعته التكوينية في الوجود ، إنها لمبارزة قوية في إثبات وجوده في داخلي ، لهذا وافقت على الذهاب إلى صديقي دون أن يعرف هو ما في داخلي ولا أيّ تلميح عن اعتقادي... وبدأت أحاول تفجير كل ما هو واضح لغيري و بذلت جهدي في تحويله إلى مبهم في ذاته حتى لو لم أكتشفه أنا في اللقاء فسأكتشفه لنفسه بعد اللقاء ليكون شيئاً غير قابل للتعبير عنه بذاته.

هكذا شرعت في تدمير الاعتقاد لأعتبر هذه المحاولات عمليات صقل الفكرة التي زرعتها في رأسي لأبدو رجلاً عائداً إلى طبيعتي الثقيلة بعيداً كل البعد عن فكرة النبوءة في التسول ، وكل هذا الحوار والجدال الحاد في داخلي سمح لي بأن أغدو أكثر ثقلاً من ذي قبل ، ثقيلاً في داخلي وهادئاً لكل من يتفحص شخصيتي حتى لو كان طبيباً في تحليل الشخصية ، هه ، ومن هو القادر على معرفة الحقائق التي أخفيها في داخلي إذا لم أعبر عنها أنا ، ثم هل يمكنني فعلاً أن أكون معبراً عن حقائق نصفها مبهم لي و للفتي البوحية ، ولكن لا يهم ، فها أنا أجد أول هدف يحقق لي لذة ذاتية لأمضي قدماً إلى تكوين مملكة متحررة من الوجود وقوانينه العتيقة ، يجب عليّ حراسة فكرتي الراديكالية الذاتية

حراسةً متشددة، وأكثر الأمور الإيجابية في هذه
المبارزة هي أنني لا أتكلم كثيراً، يمكن القول بأنني
لا أتكلم إطلاقاً، فحين أدخل في مجموعة تتجادل على
أشياء تافهة، يتوجب عليّ الصراخ عليهم (يا أغبياء، ما
تتكلمون عنه و تفكرون فيه تم ترويضكم بالوعي
الاجتماعي لتقولونه وأنتم كلكم فخراً بأنكم أصيلون
في ما تفعلونه و تفكرون فيه) لكن رغم ذلك لا أنطق
بحرف لأنني ثقيل كما تعلمون، و أحياناً أيضاً تزداد
شدة الغباء و الغفلة منهم ليجبروني على تصديق الفكرة
التي تقول أنني الله لأصدقها و أنا كلي ثقل و كره لهذا
التكوين الاجتماعي المنغلق و التافه ولكن بعد لحظات
أعود رافضاً هذه الفكرة، و أحياناً أيضاً يتكلمون في
أشياء أعرفها جيداً و لكن رغم ذلك لا أتكلم معهم،
ليس غروراً شخصياً إنما حفاظاً على ثقلي المتحرر من
قوانين الوجود.

كل هذه الأمثلة لتدركوا جيداً أنني لا أتكلم أبداً و
لتفهموا أنني سأكون الفائز في هذه المبارزة و أن كل
حقائقي تدعم و صولي إلى هدي الذي أركض نحوه
بكل قوة، حتى أن الخوف نفسه صار حليفاً لنظريتي
و اعتقادي و هذا أفضل ما يتيح لي نهوض الحقيقة التي

أكونها في ذاتي و لذاتي و لكن لنرى هذه المباراة الحادة بين الوعي الاجتماعي و نبوتي في التسول ، و لأحيط نفسي بطاقة إيجابية أظل أردد في نفسي حقيقتي الكردية الحضارية لأنفخ في عضلاتي أكثر، فهذه أكثر الأمور الإيجابية، فالحقيقة التاريخية تحضر في كل نظرية و تدعمها إن كانت صحيحة و تدحضها إن كانت خاطئة أو فارغة، الآن بعد كل هذا الدعم يمكنني القول أنني حقاً نبي في التسول، فأنا كردي، إنها لحقاً نشوة لذيذة في أن تكون كردياً و تدرك أنك متسولٌ ثقيلٌ أو أنك كرديٌّ في التسول، حقاً إنها لسعادة حقيقية حين نبعد الغموض عن الحقائق الموجودة في داخلنا و عليّ الحفاظ على توازن ثقلي لأعبر هذه المباراة و أنا المنتصر في هذه الجولة الأولى. ولهذا استيقظت في الواحدة ظهراً رغم أنها كانت متعبة جداً محاولة النهوض باكراً في هذا الوقت، لكنني فعلتها في سبيل هدفي و من ثم قضيت ساعتين في غسل وجهي و ما هنالك من تجهيزات شخصية مثل ارتداء الملابس و تمرير الشعر مرة واحدة للخلف و وضع الحذاء في القدم و ربط الخيط و إغلاق الباب و كل هذه الأشياء كانت متعبة جداً.

لربما تقولون في أنفسكم أنني أبالغ في هذه القضية

إذا فالأمرر سؤالي على هذا السطر المهترئ: لماذا ترغبون في فرض طرقكم و أساليبكم على غيركم، ثم ألا تعلمون أنني من قوم يولدون وهم ذاهبون إلى المذبحة؟ ليست مبالغة هذه أيضاً فنحن نولد في ثانية و نذهب إلى المذبحة في الثانية الأخرى، كما أن مفهوم المذبحة مختلف عن مفاهيمكم القديمة، فعندنا تعني الركوع و التلذذ بذلك، ففي الثانية الأخرى نركع بلذة و هذه هي المذبحة الحقيقية اللذيذة لنا نحن فقط، كم أرغب في أن تصبحوا مثلنا لتفهموا ذلك بقدر كاف ثم إنني قلت لكم سابقاً أن بعض ما في داخلي يظل مبهما و مخيفا بعض الشيء لغيري، لا عليكم فلتدركوا ذلك فقط بقدر بسيط من الفهم يكفيكم لتتكاثروا، فلنعد إلى القصة الثقيلة التي أحاول فك الحصار الغامض عنها. لا، عليّ هنا توضيح بعض الأشياء مثل لم أنا ثقيل؟ و ما هي الأسباب الأعمق لهذا التكوين؟، فكما تعلمون أنا مكاف للكشف، لتغيير جلود المعنى، ثم أنه من الطبيعي جداً فعل ذلك، فأنا مريضٌ بالأثقال، و قد ترون أيضاً أن استعارة كلمة (مريض) لا تلائم الجملة ولكنكم مخطئون فالأكرّر «إن بعض الكلمات في قاموسنا لها معان تختلف عما تعرفونه» ولهذا المرض

الجميل طريقة في سلخ جلد الرغبة فإذا المعادلة تعني أنني أنتقم.

نعم، أنتقم....، فحين أفكر ببيرودة فأنا أخطط في داخلي للانتقام من أشياء أخرى، مثل الانتقام من جبن غيرنا من الشعوب أو من فراغهم أو من المذبحة التي (رغم لذتها) نذهب إليها بعد اللحظة الثانية من الوجود، فعلى الثقيل، النبي، المنتقم، الحاضر في موسوعة الحضارة طرد الجبن للركوع للخبز بطريقة استثنائية لذيذة، تماما هذا ما كشفته لنفسي بعد خروجي من البيت، هذا هو المعنى الأوضح الذي لديه من المصادقية ما يكفيه ليصبح معزوفةً جنائزيةً متعبة و متعبة، وخروجي من البيت رغبةً في تأكيد فكرة النبوءة أفضل دليل يمكن استخدامه في هذه القضية.

الآن أنا متلذذ عالي، نبي مكشوف لنفسه ليؤكد لنفسه ما تريده نفسه، ولأوضح الغرور بشكل آخر، كما قلت أنني كردي أي أنني أملك في جيناتني غرورا حضاريا تكوّن على مدى ألوف السنين فكلما مررنا بنكسة إنسانية أو نكزة إلهية امتلأ جوف جين الغرور أكثر، وكلما وُجدنا في مشهد جنائزي أو في حضور دم عائلة كردية تخدّر الجبن التاريخي أكثر، فالإنسان

الذي يشفى أو ينجو من الموت حين يسحب الموت عائلته من أمام إدراكه الوجداني يكون نبياً مشبعاً بالغرور لينقل لنسله هذا الجين الخاص بنا (من الطبيعي خصوصيته فألوف السنين ميزة فعالة لتكوين طفرة استثنائية) فلنقل بعبارة دقيقة نحن شعب الغرور المختار، و أما علاقة الغرور بالتسول لا تحتاج إلى توضيح فكل مفرور متسول و كل متسول مفرور بما عنده و كلما كانت الجذور التاريخية جديرة أو محترفة بالتسول كلما كانت الأجيال القادمة من هذه الجذور جديرة بالتسول و هنا نقطة مهمة أخرى، الكردي عنيد للغاية، كما يعلم الجميع أننا نلقب بالشعب العنيد، نرفض و بقسوة اشتراك شعوب أخرى في مجازنا و في ركوعنا للخبز و في جيننا الخاص، هذه ميزة مجانية وهبتنا الطبيعة إياها مع جين الغرور و مع ثقلنا اللذيذ.

ثم إن نظرة الشعوب لنا تتضح ما لدينا من اعتقادات فنحن متهمون بانتحال الإنسان، بسرقة بطاقة الدعوة إلى الحياة من جعبة الطبيعة، و متهمون بالعار الكوني بتعبيرهم الخاص، و غير قادرين على النظر إلى السماء، غير جديرين (كما يقولون) بالوجود، لا يجب أن ننطق أبداً، لا يرغبون في أن نضحك، أن نمسك قلماً و نكتب

حرفاً، يظنون و نظن نحن أيضاً أن كل ما نعيشه أمر محتوم تماماً، و منظم لأننا كنا نصنع معجزةً قذرة، رغبةً شاذةً، جنوناً ميتافيزيقياً، ملامح ضارة بالدهشة، على حد قولهم و حسبما نعتقد نحن أيضاً، لهذا قمنا بوضع قوانين تحكمنا و نتحكم بنا، فمثلاً عندنا رفع اليد جريمة عظمى بحق القومية، و الاقتراب من السؤال كالاقتراب من النار، نار فردوسي نكرهه، و خلق الذات لخرافة لا تحرك أذهاننا، و إيجاد المعنى من الغباء فنحن لدينا معنى أعمق و أعظم من كل معاني و ماهيات الوجود!.

لا إرادياً لا نريد شيئاً أما إرادياً فبعض منا يضحك على نفسه حين يختار الخروج من بنائنا الاجتماعي، يرغب بشدة ساخرة أن يتقرّر من نشوتنا الخاصة، و يسخط إذا أثبت لنفسه أنه ساخر مثالي من حقيقته الوراثة، قد يصل إلى تمرد رومنسي ليتقلب في لذته الوهمية، إلى موت لذيذ في سبيل نشوته الرومنسية.

و كل هذا يصبّ في مصلحتنا اللاإرادية، في نضج غرورنا الوراثةي بطرق مباشرة أو غير مباشرة، في خواصنا الحضارية فنحن شعب الغرور المختار، شعب اللعنة الجميلة.

إنني ككردٍ أعود دائماً لنقطة التكوين الأولى، إلى غروري المنهجي الذي يخلق لي بنية اجتماعية و نفسية، ومن هناك أبدأ بالسير على طريق الاعتقاد المشحون منه، وكل خطوة هي بمثابة نقطة إيجابية لشهوة الكردي لدمي الذي يغلي متعةً وهو يجري في شراييني، لأصبح في الأخير المثال الأعلى للکرد، النبي المتسول المغرور العنيد، ومن بين الخطوات هو احتكاكي بقضية اليوتوبيا، إنه لأكبر إنجاز وصولي لهذه النقطة من التكوين الشخصي، فالواقع أننا نحن الكرد لم نقع في مصيدة اليوتوبيا ولا في حفر التأمل المستقبلي ولم نخطط له ولا نفكر فيه حتى، فنحن نعيشه، نعم نعيشه.

حياتنا هي أكبر يوتوبيا في نظرنا و اعتقادنا، أجمل خدعة واقعية، ثم نحن و كما ذكرت سابقاً أن وجودنا و ماهيتنا تركيب واحد، قضية واحدة لا فصل بينهما ولا حتى نخطط في التقيب عن القضايا الصغيرة في هذا الموضوع، إننا نرى الأشياء بطريقة سطحية، تجذبنا البساطة، نمزجها بعواطفنا المبتدلة لننتهي في الأخير إلى أننا أعظم شعب في السكون.

(ها أنا و للأسف أحاول جر نفسي إلى خانة التناقض،

ها أنا أصنع دائرةً ألهث فيها بإرادتي لأكسر حقيقتي الوراثية، حيث ظننتني لست منهم وكتبت هذه الصفحة الأخيرة و كما قلت لكم عن اللذين يضحكون على أنفسهم باختيارهم الفرار من بنائنا الاجتماعي، ها أنا منهم) وها أنا ساخطٌ على نفسي بهذه الجملة التي كشفت فيها أن ما في داخلي و ما خارجه متناقض.

إذا فلأتراجع قليلاً قبل أن أغدو متمرداً رومنسياً، ولكن فلنجمع قليلاً ما توصلنا إليه في طرح بعض نقاط الكرد، ألا ترون أن كل ما ذكرته يدعم نبوتي في التسول؟؟

ولتعلموا أيضاً أنه رغم كل هذا لدي قلق بسيط، قلق كردي بسيط من تحولي إلى شخصية لا توافق بيئتنا الاجتماعية، إلى شخصية تحاول خلق الذات، أي أن كل ما ذكرته كان من دافع القلق أكثر من البحث عن الحجج لإثبات نظريتي في النبوءة، أعرفتم الكردي جيداً؟

طرحي الأخير مفيد في فهم الحدث الأول من قصتي، فهو لا يهضم دونما توضيح، دونما تحليل، قد يكون صحيحاً أو لا، لا يهم، ولكن فلنرى ماذا ستفهمون منه . بعد خروجي من المنزل، كهفي الجميل في اسطنبول،

في منطقة الأنبياء، البروليتاريا المستلذة بالنبوة، مررت بالحديقة التي تقع قبل محطة الباص بخمسين متراً، يتوجب عليّ المرور منها رغم كرهى للطبيعة التي لا أفهمها أو فلنقل إنها من الدّ أعدائي، دخلت إليها كما في كل مرة أدخل إليها، شاحب الوجه، مختق الصدر، خجولاً، متردداً في المشي، ثقيلاً، متمسكاً بحقيقتي الحضارية كسلاح أوجهه في وجه الطبيعة، أنظر كاللص في وجوه الناس الجالسة المتأملّة في الطبيعة، ناثراً كرديتي في حقول الغرور و إذا بي أرى ذاك الرجل الكردي الذي أتهرب منه أحياناً، أوريما كثيراً (سريست) كان جالساً يتناول الكتاب بطريقته المعتادة التي تثير الغرابة والفضول، كان يختلس النظر بين الفينة والأخرى متفحصاً المكان وكان الناس حوله يسخرون منه ويقهقهون بأعلى صوتهم، و من قصر المسافة سمعت أحدهم يقول لصديقه بسخرية و من حسن الحظّ إنهما كرديان

-انظر، انظر، إنه يقرأ كتاباً هذا الغبي!

ردّ عليه الآخر بعد أن فحصه بنظرة

-دعه في الغباء فغداً لناظره قريب.

ثم عاد يقول بعنف بعد أن هزته حقيقته الكردية

- ألا يعلم أنه في اليوم الأسود سيكون وحيداً.

قال الآخر بطريقة إجرامية

- هؤلاء الذين يضيعون وقتهم في هذه الكتب السخيفة
عارٌ على قومنا.

أخذت أنحرف عن الطريق كي لا يراني سربست
موجهاً وجهي بين العشب الأخضر، و ما أن وصلت إلى
آخر الحديقة حتى توقفت فجأةً، هكذا، بين الناس،
شارداً، كانت في رغبة تلتهب، تصرخ في داخلي،
حاولت إخمادها ولكن للأسف، ها أنا أعود مستسلماً
إلى سربست، كان ما يزال يقرأ، سيجارته وصلت إلى
آخر نفس وكانت المسافة بيننا بضع أمتار فقلت له و أنا
أصعد للأعلى، فمكانه كان عالياً قليلاً

- ستحرق اصبعك، فلترمي هذه السيجارة.

اندهش مني ورمى سيجارته فوراً ثم قام مبتسماً لي،
فرحاً بقدومي

- أين أنت، منذ زمن لم نلتق

- كما تعلم أظل في الفراش دائماً

- فلتجلس، فأنا مللت قليلاً، مر شهر لم أتحدث فيه

مع أحد.

سريست، رجل في الأربعين من عمره، سمين، ذورأس كبير ووجه عريض، ملامحه بسيطة، خجول جداً، يتهرب من الجلسات و الأماكن الصاخبة، هادئ الطبع، ثرثارٌ بعض الشيء، كان موظفاً ثم لأسبابٍ أجهلها ترك عمله منذ عامين، (و كما هو قال لي) يمضي الوقت في القراءة و تعلم اللغات، لديه أم تعيش معه و إخوته تناثروا بين الدول، محبوبٌ عند الشيوخ و لكن الكهول و الشباب يتهربون منه و يقولون أنه غريب الأطوار، يأتي أحياناً ليجلس هنا وحده، ليقراً أو ليمشي لا أكثر، كنا نجلس معاً نتحدث في أمور كثيرة، أحياناً أفضل الجلوس عنده و التحدث معه و قليلاً ما أتهرب منه حينما أفضل الجلوس لوحدي، أحس أن في داخله أكوانا من المعاناة رغم أن أسلوبه و ملامحه لا يوضحان ذلك أما الآن فعودتي هي لاستفزازه، لا أكثر و لا أقل.

و بعد الترحيب نظرت إليه كمن سمع فضيحةً عنه إذ أن شعبنا يخاف من الفضائح كثيراً فعندنا يتلذذ الأفراد بفضائح غيرهم رغم خوفهم من فضائحهم الخاصة

-لم أنت بائس جداً؟

ما أن سمع السؤال حتى بدأ يراوغ و يتهرب من الجواب كقط هارب من كلب، ثرثر و ثرثر حتى ضجر العشب

منه و لكن أنا ظللت صبوراً فأعلم جيداً أنه سيقول أشياءً مهمة في ثرثرته و لكن الحق أنه كان ممثلاً عظيماً فيها هو وينهي ثرثرته لأبقى دونما جواب فإذا به بعد أن نظر بهدوء إلى وجهي يضع قناع التفاؤل جانباً

قال لي بجديّة مطلقة و كأنه قاض في محكمة ، أتته

قضية مهمة

-أعلم أنك لا تستند على قول أحد لهذا لن أسالك

سؤال الشعب المعتاد (من قال لك هذا) و لكن هل لي أن أعلم كيف أدركت ذلك؟

-لأنك حقاً رجلٌ غارق في البؤس

بينما هو صامت عدت أقول

-لم تكذب على نفسك لست ذاك الأحمق الذي

تتخيله..

وإذا به ينفجر

-أتعلم؟، تلك المجازر التي حدثت مؤخراً لشعبنا ، أنا

فرحٌ بها ، نعم ، كنت أضحك في منزلي حينما كنت أرى صور الضحايا ، خاصةً صور الأطفال .

تعجبت كل العجب و اندهشت بكل مشاعري التي

تحولت إلى دهشة ، لم أنطق ولا حتى فكرت في ما

سأقوله فهو عاد يقول بعد صمت كابوسي

- هذا الشعب المعفن، الغارق في الغباء الموروث،
كله غبار لا أكثر، إذا خرج أحدهم من هذا السجن
فإما سيقع في فخ اللاوجود أو في فخ التمرد الرومنسي،
أتعلم لم؟، لأنه لم يخرج ليبحث عن نفسه إنما خرج
ليستمتع بلذة وهم آخر، لهذا أريد الدمار لهذا المجتمع
لربما يخرج منهم واحد فقط، يرغب في البحث عن
نفسه، عن ذاته، عن (الأنا و النحن).

- و أنت؟

-أنا!

أطلق زفيره و عاد يقول ووجه يزداد احمراراً و غضباً
-أنا رجل أحاول الخروج مني، أحاول بكل ما بي
من تعاسة، من كراهية، ولكن، تبا و ألف تبا، أنا
منكم، و لست ذاك الواحد الباحث عن شيءٍ ما، نعم،
أنا رجلٌ بأئس أظل أضحك على الجميع بهذا القناع حتى
صرت أضحك على نفسي دون أن أدري، ثم ماذا سيفيد
إذا صدقت أوهامي أو لم أصدقها فأنا منكم.

نظر إلى السماء متأملاً و قال بعد أن طرد غضبه

- منذ عام و نصف تركت عملي و حياتي الشخصية

وبدأت بالسفر بين الكتب، وكل يوم، لا بل كل ساعة مرّت لاحظت أن عدد الذين يتشبثون بي يزداد، بسخريتهم، بتقاليدهم، بعباداتهم، بأفكارهم الموروثة، بحسدتهم، بأوهامهم، بكراهيتهم، حتى الذين أحبوني تشبّثوا بي لأعود إلى ما كنته سابقاً (ذاك الرجل التقليدي المحافظ القذر)، الآن أعترف لك أنني عجزت، أعترف لك أنني وقعت في فخ ثالث، لا أعلم ماذا أسميه لكنني وقعت فيه للأسف!، سأقول لك مجدداً الشعب الذي يبحث عن الجنس و الخبز و الزواج فقط يجب أن يفضى!، نعم يجب ذلك.

قمت دونما كلام كالفارغ، مشيت دونما تفكير كالمنبهر، مشوش دونما إدراك كالمريض، هكذا ودعته دون تحية أو كلام و الآن لا أريد بتاتاُ التفكير فيه و فيما قاله هذا الرجل و لا حتى أود أن أتذكره للحظة طيلة حياتي، الآن نسيته، الآن أضحك و أقول لنفسي (من هذا، لا أعلم) و مشيت.

كان الجو خانقاً، يكاد جلدي يحترق من الشمس، و أكاد أختق من هذه البيئة، أنا مشوشٌ جداً و ثقيلٌ جداً بكل ما بي من هواجس و أوهام، مشيتي تشبه مشية رجلٍ هرب من عملية استئصال قلب، وجهي أصفر

كالليمون، و بطني يصرخ من الجوع والعطش رغم أنني شربت الماء قبل قليل و لكن عطشت مجدداً، أشغل نفسي بهذه الأمور لأنسى ما في داخلي، ليخمد بالنسيان، فكثيراً ما أحتاج إلى بعض الأوهام لأتهرب من مشاعرو أفكار تكاد تقفز للعالم بصوتي ثم إن الحياة لا تعاش إذا لم نخلط الأوهام بالرؤية و إذا أجبرتنا الحياة على الاختيار بينهما فمن المؤكد سنختار الوهم، وهنا تختلط المصلحة الشخصية مع مصلحة العالم و الطبيعة، و كل ما أقوله الآن رغم ثقله هو لمصلحتي الشخصية، إذا أين كنت!؟

وصلت إلى موقف الباص المكتظ بالناس، الشباب منهم رؤوسهم منحنية على الهواتف و بالقرب من الموقف سيدة جميلة تتفاخر بجمالها وهي تلتقط صورة لنفسها أما الرجال كانوا منشغلين بأفكارهم و خيالهم الضيق، أجزم أن معظمهم يحسبون المال الذي تبقى معهم بعد أن دفعوا كل ديونهم الصغيرة فهذا هو يوم الحساب و جميع العمال يأخذون أقساطهم في هذا اليوم تحديداً و لكن الغريب في الأمر أنني لم أجد سعيداً بينهم، وجوههم توضح حيرتهم و مخاوفهم المستقبلية و مشاكلهم العائلية التي تكبر ولا تصغر، إن عمال منطقتنا هذه

يتقبلون أوضاعهم في كل الأيام إلا في يوم الحساب ،
و كأن يوم الحساب يكشف بعض أوهامهم و السعداء
منهم تستطيع نزع أفتعتهم بسهولة.

فلأعد إلى قصتي قبل أن تنحرف ، كل ما يجري في
نفوسهم لا يهمني إنما أضيع الوقت قبل قدوم الباص الذي
سأذهب به إلى صديقي الذي من خلاله أنهى أول مبارزة ،
و من المؤكد أنني الفائز و لكن حالتي النفسية تزداد
سوءاً و أنا لم أدخل الباص بعد ، ها هي البيئة تشتدّ ثقلاً
و ضجراً مني و الصدفة الأسوأ أن يومنا هذا هو يوم من
أيام الصيف الحارة ، فيجعلني هذا ملتصقاً بقوة الجاذبية
بشكل لا يصدق ، ففي الأيام الأخرى لدي أمل دائم أنني
سأطير على بغل ، هكذا ببساطة ، و لكن يومنا هذا
يجهز على أمنيته بضربته القاضية
و لكن ليس مهماً هذا الآن ، فلأنتظر الباص.

مرّت دقائق و أنا أتكئ هنا وهناك على أي شيء يمسك
بظهري ، إذ لدي اعتقاد دائم بأنني سأسقط في أية لحظة
(مثل جميع العمال). و ها هو الباص قادم ، إنه قادم ، إن
هذا شيء لا يصدق ، إنها معجزة بالنسبة لنا ، فخيالنا
يظل يقنعنا أننا لن نخرج من هذه المنطقة أبداً ، أما هذه
المعجزة فهي تداعب دهشتنا لثوان فقط ، لا أكثر ، و ما

أن تمضي هذه الثواني حتى نعود إلى أنفسنا قائلين (هذا أيضاً لا يعني شيئاً مثل جميع الأشياء الأخرى)، تموت الدهشة هكذا ببساطة شديدة لأننا نعرف أن كل شيء ليس أكثر إعجازاً مما نعتقد في نفوسنا، في قعر الاعتقاد، ذاك الذي يظل معنا من اللحظة الأولى إلى آخر لحظة نعيشها على هذه الأرض.

أدخل الباص مثلما أدخله دائماً، رافعاً رأسي كأني عضو في مجلس الكواكب، متشبثاً بنفسي، أراقب الوجوه والثياب والحركات، السائق هو أول من دقت فيه، و مثل الجميع كان هادئاً ومرتاحاً في مكانه و كأن العالم بأكمله بخير، و كأن معاناة البشرية لم تكن سوى لعبة فاجئنا بها مهرج ثم أخفاها تحت إبطه، و كأن اللعبة التي فقدها طفل في الحرب كانت قذيفة لهذا فقدها، أي كان الحدث لصالحه، و كأن القضايا الجدلية لا وجود لها.

ماذا أقول!، لم أفهم لماذا تذكرت هذه الأمور وأنا أنظر إليه كما لا أود فهم اللامفهوم الذي يختبئ خلف المفهوم، والأهم أن هذا ما شغلت به نفسي أو نفسي أشغلتني به و أنا أمضي قدماً بين دهايز الركاب، كما هو، ولسوء حظي دائماً وأبداً، كان الباص ممتلئاً

ومكتظاً بالأنفاس والعيون، الكلّ يتفحص الطبقة الأخرى من المجتمع، العمال ينظرون إلى الرأسماليين بقرف رغم قلتهم في الباص و القلة الرأسمالية تفعل ذلك أيضاً، أما البرجوازيون كانوا من الناجين من هذه المعركة التي لا تبقى سوى لحظات، فكما وضّحت كثيراً أن العمال يسمعون صوت الاعتقادات فينسون كل شيء وما أن ينسحب العمال حتى تنتهي المعركة، بفوز من، لا أحد يعلم!

أخذت مكاني بين الحشد و مسكت الحديد الذي وُضع فوقنا لنتشيث به، رغم أنني تعذبت حتى وجدت مكاناً (عشرون سنتيمتر بمثله)، ولكن هذا العذاب كان بسيطاً جداً فما أن توقفت حتى بدأت أتعرق أكثر فأكثر وأشعر بالدوار كأن الباص يطير بين لهب الحريق.

هكذا مرت اللحظات الأولى من وجودي في الباص وحين أقلع الباص بالطيران إذ بي أصطدم بمن خلفي، كانت سيدة جميلة جداً، ذات قوام رفيع و صدر ممتلئ وملامح بسيطة، ولحسن الحظ لم تنزعج إلا للحظة فقط، قدمت اعتذاري فابتسمت من باب المجاملة لا أكثر ولا أقل ثم عادت تتشغل بما في عقلها، الأهم أن الحدث مر

بسلام ومع ذلك كان حدثاً جيداً ، صدفة جيدة ، إننا في أيامنا هذه لا نصطدم إلا بالحمقى وهذا ما أشعرنى بالطمأنينة ، أعلم أنني أبالغ بكلمة طمأنينة لكن من هو مثلي ، قد يشعر بالحب بنظرة عابرة من عجز في شارع عام ، ثم إن هذه اللحظة لا تدوم إلا لثانية أو أكثر قليلاً فلماذا أسميها طمأنينة ، وها هي اللحظة تمر وكأن شيئاً لم يكن ، وكأن الكون وجد في لحظة واختفى فيها ، ثم مرت الدقائق السيئة الأخرى وفي تلك الدقائق كنت أشك في شيء ما ، تلك السيدة كانت توحى بأمر ما ومن عادتني عدم النظر إلى الغرباء كثيراً ولكن كنت أراقب حركاتها بطريقة غير مباشرة ، كانت حركاتها غريبة وكأنها تريد أن تخبرني بأمر ما أجهله ، ولأنني كائن ذكوري تجاهلت ذلك بكبرياء ، بكبرياء مصطنع ، وما أن شعرت بأنها تجاهلت ذلك حتى شرع الفضول يأكلني ببطء ، ولأنني ضعيف وهش ، استدرت نحوها لأذكرها بما كانت تريده ، كانت هي غافلة عما حدث لهذا قمت ببعض الحركات والإيحاءات لتدرك هي ذلك بطريقة غير مباشرة ، لكنها ظلت شاردة بما في مخيلتها ، وفي حين كنت أضع الاحتمالات الواردة لأعيد انتباهها إليّ ، لاحظت شاباً بعيداً مني بما يقارب المتر ، كان غريب

الأطوار، لا في شكله إنما في حركاته، كان ينظر إليّ بين الفترة والأخرى، حتى أحياناً بين الثانية والثانية، استنتجت سريعاً أنه كان يرى ثيابي أو جسدي غريباً بعض الشيء لهذا تجاهلته وعدت أبعث الرسائل الخفية إلى السيدة التي كانت ما تزال بجانبني. فلأعترف أن انشغالي بها لم يكن سوى مراوغة للوقت ليمر أسرع، فهذا (بعيداً عن الحدث) عمل نفعله دوماً كي لا نسمع ونرى ما يجري بداخلنا، كي لا يعمل العقل، (نعتقد أن كل من يشغل عقله يجن فوراً) ثم إنه لديّ أسباب أخرى تجعل هذا الحدث حدثاً دون إثارة، حدثاً عادياً جداً، فمن المؤكد أنها لن تحبني ولن أحبها ولن نتزوج، ثم إنني لا أؤمن بالحب ولا أحبه، وأكثر ما يضحكني هو زواج الشرقي وحب الشرقي، فالزواج يتم بطريقة أخذناها عن أجدادنا كشرط أساسي في الحياة ولأننا نعتقد أنه شرط أساسي نكون سعداء جداً، سعادة مفرطة، لكن لو تمعننا في الموضوع لثانية لا أكثر سنجد أن هذه السعادة مبتذلة وسخيفة بشكل لا يطاق، فالحجج أو أسباب الزواج تكون سخيفة وضعيفة جداً، وهكذا نجد أن الحب فخ عندنا، نعم إنه فخ بعينين مغمضتين، وما نسميه حبا ليس أكثر من مرآة تعكس مجتمعاتنا

المكبوتة، المذلولة، ضعيفة الإرادة، حيث تتلاشى معاني الحب الحقيقية ليصبح مجموعة من رغبات مصطنعة تضحك على عقولنا، رغبة الجنس، رغبة التحرر والهرب، رغبة التجديد، رغبة التقليد، وتكمن القوة الكبرى في رغبة التقليد، مجتمع بأكمله أولاد للمقلدين وهكذا، نقلد كل شيء ونرى أنها الحقيقة التي يجب أن تحدث بمجرد أن الآخر فعله.

أوه، أعود منحرفاً عن القصة كلما شردت في شيء، لنعد الآن إلى القصة التي تأخذ سياقاً لا أستطيع إيقافه، هذه المرأة التي كانت جميلة من خلال حسي وتجربتي التي أخذتها من الحدث تتحول أو بالأصح أنها لم تكن تلك التي تخيلتها أو أجبرني جهازني النفسي وقدرتي التكوينية على إعطائها بعض المشاعر والصور التخيلية الفاتنة، بعد العديد من الإيحاءات والنظرات والرغبات اقتربت مني بشكل مبالغت بعد أن عجزت عن توصيل رسالتها بالأغاز:

يجب أن تخرج من هنا.

ها هنا صار المشهد يغطس في الغرابة، عدت أقول لها محاولاً الاقتراب أكثر مما يجب أن أفهمه من رغبتها الذاتية في التعامل مع غريب في باص غريب في مدينة

غريبة في شرق أوسط غريب و قذر

-إن كنت تخافين على صحتي فلا تهتمي لذلك فكل هذا الضغط الهائل ليس إلا ضغطاً سخيلاً مقارنةً بما في داخلي من ضغط و قلق وجودي، ثم إنها المرة الأولى التي أخرج فيها من منطقتي بباص لكن ألا تعلمين أننا نحن البشر نجد الأمر غريباً في البداية ثم مع مرور الزمن نعبده، نعم، نحن نعبد أي شيء، فمثلاً يمكن أن أخلق شيء في داخلي ثم أعبده كأنه مركز الكون.

ثرثرتي هذه كانت توسيعاً للحوار لربما تعلق كلمة بذهنها و تحبني، رغم أن هذا الاعتقاد سخيلاً لكن لا يمكنني مراوغته، أخذت تميل يميناً و يساراً بجسدها الفاتن أما ملامحها توضح أنها لم تستطع توصيل ما ترغب بتوصيله كما أن احساساً آخر كان يمتزج بتعاييرها، كأنها شفقة!

-رائحة جسدك بول، بوووووول!

-ماذا؟؟؟؟؟؟

صدمت، تفاجئت، شممت جسدي، ثيابي، صدري، لم أدرك شيء، ولا أية رائحة، في اللحظات الأولى فقط، ثم...

نظرت في وجهها ، عابساً خجولاً منبوذاً ، كان جميع من حولي يعرف ذلك ، عيونهم كانت تقول (اخرج أيها المقرف) ، هي ابتعدت ببطء ، أخذت تدخل بين الناس بعيداً عني ، و كهلٌ تدمرٌ وأطلق زفيراً و كأنه يقول (إذا لم تخرج سأقتلك) ، كنت ما أزال واقفاً مصدوماً أشعر وكأنني منبوذ في الوجود لا بل حتى الشعب الكردي بأكمله منبوذ لا بل البشرية بأكملها ، الرائحة الكريهة المنبعثة مني تتجول بين أنوف المتواجدين ، تخبرهم عني ، عن قذارتني ، صار الجميع يعرف أنني تبولت على نفسي ، أنني تبولت على حياتي و وجودي و جيني ، أنني فئة يجب أن تسحق و تنفى من الوجود ، أنني فردة حذاء مهترئ يجب رميه في الحاوية ، أنني حشرة تزعج البشرية المستمتعة بالحياة ، بالسعادة ، أنني لاشيء ، حتى لا أستحق مكانة الغبار في وعي الناس ، حتى لا أستحق تخيل أحد لوجودي.

وجهي العابس صار يدنو ، يقترب من الأرض ، لا يتجرأ أبداً على المواجهة ، على الإرتفاع عن الأرض ، على نهوضه ، و لكن....

ها هي النبوءة تأتي بوحياها و تقول في أذني (أنت نبي لهذا تبولت على نفسك و الآن يجب أن ترفع رأسك عالياً

لأنك تبولت إذ أن هذه أول إشارة على النبوءة، ارفع رأسك وقاوم تهاهة العالم) شعرت بالفرح، نعم شعرت، ها هي أول علامات النبوة تظهر عليّ، بينما أرفع رأسي وصل الباص إلى الموقف، كان الجميع ينظر إليّ، كان الجميع ينادي (أخرج و سنعطيك ما تريده)، توقّف الباص في المحطة وفتح الباب، كان رأسي حينها قد وصل إلى مستواه الطبيعي، و الصمت ارتفع في الباص، الجميع ينتظر بفارغ الصبر، مرت لحظة، ثم دقيقة، قاومت بشدة، بعنف، ولم أنزل من الباص و ما أن أدرك الجميع ذلك حتى خرج بعضهم، الذين لا يهمهم إذا تأخروا عن مواعيدهم لدقائق، يمكن القول أن نصف من كانوا في الباص قد خرجوا مع ألف زفير وزفير أما من تبقى في الباص أجبر نفسه على تحمل رائحتي القذرة أو لأن مواعيدهم مهمة جداً، أما تلك المرأة نزلت من الباص، كنت سأرفضها وهي تخرج لو لم أكن نبياً.

خرج من خرج و ظل من ظل و ابتعد عني من ابتعد أو من استطاع ذلك وتحرك الباص، نظرت إلى مؤخرة الباص، كانت بعض الكراسي فارغة فأخذت أدنو منها حتى جلست في آخر كرسي أو أبعد، نعم ابتعدت قدر المستطاع و جلست بعد أن هدأ الوضع قليلاً،

بعد أن خرج نصف الركاب هرباً مني، جلست أراقب الأوضاع بعيون ثاقبة، الكرسي الذي قصدته كان آخر كرسي، بجانبه كرسي و أمامه كرسيان، الكرسي الذي كان بجانبني لم يجلس عليه أحد أما أمامي، في الكرسي الأول كان يجلس شاب كفيف، توضح لي ذلك من طريقة نظره، فحينما جلست استشعر أنفه وعيناه لم تتحركا ثم قال للذي يجلس بجانبه، المشغول بالقراءة.

- ما هذه الرائحة الكريهة، هل نحن في مزبلة؟

رفع الرجل رأسه مستفسراً و ناظراً إلى ما يحيطه من روائح و أشخاص ثم أعاد نظره إلى الكتاب قائلاً في سرٍ ولكنني سمعته

- بعض الروائح السيئة ليست سيئة.

عاد يقول الكفيف في انفعال

- ولكن لا أستطيع تحمل مثل هذه الروائح.

أقفل القارئ كتابه مدركاً أن الحوار سيأخذ وقتاً ثم قال بهدوء -أنا أتحمّل الروائح وأنت لا تتحملها، أنا لا أستطيع اغلاق عيوني كي لا ترى.

أعتقد الكفيف أن المتحدث يهينه ولكن لم يغضب

بل تشبث بما يعتقدُه

-وأنا أتحمّل من يهينني واللّه هو اللّه.

علم القارئ أن المستمع الكفيف أبسط من أن يناقش
فأجبر على أن يفكّ عقدة الظنّ

-من يهينك و يستهزئ بك إنما يفعل بنفسه ذلك لا بك
غير طريقة جلوسه واقترب من الكفيف وأكمل
كلامه.

-اللّه أبصرك و أخذ عيوننا فلتفرح بذلك فأنت في
أفضل نعمة واشكره في قيامك وسجودك.

فرح الكفيف بما سمع و شكر الرب بما نعم و قام
مودعا من حوله فأخذت الأيدي توصله إلى الباب وخرج.
بعد خروجه أثار القارئ فكري (لم تحول هكذا؟)
ولحظة بعد لحظة يشدّ عليّ السؤال وبيعثر ما في مخيلتي
فعجزت وقلت له مباغتاً.

-لم تحولت هكذا فجأة؟

ابتسم و مسّد جفنيه و قال:

-ما لا يفيدنا قد يفيد غيرنا..

نطقت بعفوية

-وضح لي فأنا لم أفهم، نعم، قل لي لم تحولت و لم

كل هذه الألفاظ، أريد أن أفهم وبسرعة إذا أمكن.
 -قلت له أن الغباء مفيد له ولكن بطريقته لا بطريقتي.
 -ماذا، لم، كيف !!!؟
 - أجبرته على تعاطي المنوم ليأكل ويشرب وينام إلى
 حين رحيله.

-أتستفزني؟ لم تلغز كل ما تقوله؟
 -لأن بعض القضايا تلغز كي نحافظ على هدوء
 الحمقى

-ماذا تقصد، هل أنا أحمق؟

-لا أنت منبوذ لأنك.....

ها هو العائق الثاني يصطدم بي، أصطدم به، أراوغه،
 يلهث خلفي، عدت صامتاً وهو عاد قارئاً منشغلاً بذاته و
 مر اللقاء دون أي كلمة أخرى إلا بعض النظرات، عدت
 صامتاً وإذا بي ...

ها هنا قد بدأت المسرحية الهزلية، الفكاهة القاتلة،
 الكابوس الذي أكرهه، لا بل الذي يجعلني أكره كل
 شيء حتى نفسي.

نعست قليلاً وبعد أن خرجت من القيلولة لم أجد
 القارئ ولكن يمكنني القول أن قيلولتي لم تكن إلا

دقيقة أو أقل من ذلك فكيف خرج دون أن أدري وهل هذا حقيقي إلى حد أن يكون واقعياً عقلاً، وبينما كنت غارقاً في الأسئلة وجدت أن الباص قد وصل إلى محطتي فخرجت مسرعاً بثيابي المبللة وبراءحتي الكريهة وبنفسي السوداوية و برأسي المضطرب فكربا، خرجت وكدت أقع فلقم كان خروجي هرولةً، هروباً من محيط يرفضني إلى محيط أرفضه، أخذت أتمعن في البيت و الوجوه و كل شيء يصل إليه نظري فأدركت بعد حين إنها ليست محطتي التي أقصدها، لم أنزع قط، فلقم كنت أحترق انتظاراً للخروج من هذا الباص الذي يكرهني و يحتقرني ولكن ما أنا بفاعل فهذه ليست محطتي و أنا ادركت كامل الادراك أنني سمعت اسم محطتي من ميكرفون الباص الالكتروني، فكيف حدث هذا؟ هل أنا مجنون مهلوس أم أن الباص ضحك علي و لكن فليكن كذلك فأنا قد خرجت ووقع المأزق ثم أنه ليس مأزقاً تماماً فأنا لدي ما يوصلني إلى المكان الذي أريده و هو هذا الحمار، جسدي، ولكن ثمة ما يقلقني جداً، أن هذه المحطة و هؤلاء العابرين و الشوارع و الأبنية غريبة جداً إلى حد أنني لا أصدق أنني حقاً في منطقة في اسطنبول، الشوارع ضيقة جداً و

البيوت عتيقة وقديمة على ما أعتقد لألف عام، والناس كلهم دونما استثناء يقصدون جهةً واحدةً، أما الباص قد اختفى، أين أنا ألا يجب أن أسأل نفسي ذلك فأين أنا وماذا أفعل، إن أكثر ما شدني هو تعابير وجوه الناس وطريقتهم الموحدة في المشي، فأخذت أمشي معهم، هكذا، إلى أن وصلت إلى ساحة كبيرة فتراجعت أراقبهم سراً، كان الجميع يصطف بانتظام ومن ثم يركع على ركبتيه، ثم وكأنهم مخدرين، كانوا يركعون أمام خشبة مسرح وعليه منبر وعلى المنبر قطعة حجر كبيرة، ولاحظت فئةً تهرب من الجموع فرداً فرداً باتجاه اليسار حتى وصلوا إلى حجارة مركونة فوق بعضها البعض، فبدأ كل فرد بتسلق هذه الحجارة وما أن يصل إلى أعلى حجر موجود حتى يسقط عليه حجر ويموت، و الأكثر غرابة أنه رغم ذلك كان كل فرد من هذه الفئة يشرع بتسلق الحجارة بعد أن يموت رفيقه، و هكذا، كلما مات أحدهم صعد الآخر ليموت أيضاً، ثم لاحظت وجود فئة أخرى وهذه الفئة أكثر غرابة من الفئة التي تحدثت عنها، هذه الفئة بعد أن يخرج أحد أفرادها من الجموع يصرخ بأعلى صوته وهو يتصارع مع الأرض وكأنه في حالة صرع، ويظل علة هذه الحالة

لدقائق حتى يموت و بعض منهم كانوا بعد نوبة الصرع
يشرعون بالهرب و إذ بالحجارة تقذف عليهم ، أما الجموع
الراكعة للحجر الموجود على المسرح ، فقد كانت على
وجوههم علامات البساطة و الفرح و السرور ، هذا ما
رأيته تماماً ثم بعد أن التقت أنفاسي علمت كل العلم
أن كل ما رأيته كان مجرد كابوس و أنني ما زلت نائماً
في الباص و أن العالم قد تشوه ، كلياً أو ثلثه ، و الأكثر
غرابة أن الناس لا يلاحظون ذلك فأنا لوحدي أرى هذا أو
يوجد مثلي بعض الأشخاص و لكن أيعقل ذلك!

ما هذا المخدر الذي لا يمكن أن يفيق منه الفرد أو ما
هذه المخدرات التي يشربونها ولا يدركون أنها مخدرات
إنما يعتقدون كل الاعتقاد أنها مشاعر و أفكار و
انطباعات حقيقية كل الحق و صادقة كل الصدق!

ها أنا أستيقظ من الكابوس أي أنه حقاً كان كابوساً
يستحق مكانة الكابوس ، وجدت نفسي على الكرسي
نفسه الذي جلست عليه بعد أن هربت من الحشود الواقفة
في الباص ، أما القارئ فلم أجده و الباص كان ممتلئاً
بالبشر ، صغاراً و كبار ، نساءً و رجال ، و أنفاسٌ تختلط
بأنفاس و عيونٌ تأكل أجساداً ، و الباص بصوت محركه
يهز الأفكار و يشوشها ، و السائق يتحدث بهاتفه ، أما

أنا فقد أصابني شلل شعوري، فهذه هي أول حالة أكون فيها حينما أخرج ذبولي من الكوابيس، بقيت هكذا مشلولاً ناظراً إلى الكرسي الفارغ أمامي ثم بدأ يتسرب إلى جسدي الضعف، اشتدّ بي الضعف والخمول حتى لم أستطع تحريك رجلي ثم بدأ ذهني يدور حول هالة صفراء بشكل منتظم حتى اقتربت منها أكثر فأكثر، هذه الهالة شوشت ذهني للحظات حتى أعادتني إلى الكابوس بطريقة واقعية أكثر، كنت أرى مجدداً كل ما يحدث وأنا أسخر بمرارة من الجموع الراكعة والساجدة حتى غلبني النعاس المؤلم، السكون المؤلم، ساكناً وجدتني أرى مرةً أخرى كل ما يحدث وأنا أتألم بشدة مفرطاً في الإنسانية الاجتماعية حتى رأيتني من خلالهم، كنت كلهم، وكل فرد منهم، إلى أن وجدتني ذاك الحجر الموجود على المنبر الذي يكره نفسه ويشمئز من تكوينه الصلب و من طريقة نظر الجموع له، اشتدّ بي الوجع، صلبت تماماً وخرج ذهني من الكابوس، عدت إلى الباص و بي حمى، حمى تقرط في صلبي، و حجرٌ أراه بذهني موجوداً على صدري، يخنقني، ثم وإذا بالحجارة تسقط من سقف خيالي صنعه ذهني، تسقط على صدري قمت فجأةً بطريقة عفوية، لاهثاً وهاربا

مني، مما كنته على الكرسي، شدّ هذا الموقف كل الموجودين حولي، أثار فضولهم أما أنا فقد وقفت في منتصف الركاب، لكن وجدت الحجارة تقصدني من جديد و أنفاسي تتقطع وتخرج ثم وإذا بي بحركة لإرادية أضرب شاباً ضخماً واقفاً بجانبني، ما أن صفعته حتى أتت ردة فعله سريعة و شرع يضربني بعنف حتى سقطت أرضاً وبدأت الأصوات تتعالى و التهديدات تتمزق أشلاءً في داخلي و الناس حولي، حول رؤيتي يدورون، ولكن ما شبع الشاب فاستخدم هذه المرة قدميه رفسني في صدري و وجهي إلى أن أوقفه الركاب و خرج من الباص و شرارة الغضب تتطاير من عينيه، أخذت أستعيد إدراكي للواقع بعد غيبوبة قصيرة، بعد رحيله بدقائق استيقظت بماء دافئ رشه عليّ أحدهم، قمت ببطء شديد أمسح دماء فمي ممسكاً بالحديد الموجود تحت نوافذ الباص، ساعدني في ذلك أحد الشبان ثم ابتعد عني بعد أن عجز عن مقاومة الرائحة الكريهة المنبعثة مني، استعدت نشاطي الضعيف شيئاً فشيئاً ثم فتحت عيني على الوضع فرأيت الكدمات السوداء على وجهي من خلال النافذة و الدم الذي تجمّع حول عيني و شعري المنكوش و ثيابي المهترئة المشقوقة، بدأ

الصداع يفتك برأسي و عادت الحمى من جديد تقيدني و تضعفني، أخذت أستند بطريقة مختلفة على الحديد مما أنا به من ألم و ضعف و جرح ثم قررت الجلوس على إحدى الكراسي، شرعت في جولة نظرية، فوجدت الباص ممتلئاً أكثر من ذي قبل فاستسلمت، و هكذا مرت الدقائق في ألم و خمول شديد، ألم جسدي و نفسي، ما أن عرفت أن الكابوس سيعود حتى بدأت اقاومه منشغلاً بما حولي من وجوه و ملامح، الملامح التي كانت تشمئز من رائحتي الكريهة و الأجساد التي تحاول الابتعاد عني أكثر، حينها توقف الباص عند أحد المواقف فنظرت في الشاشة، إلى المواقف التي سنتوقف عندها بعد هذا الموقف، وجدت موقفي بعد أربع مواقف، موقف بيتي لا الموقف الذي أقصده، أي أن الباص قد تجاوز الموقف الذي قصدته و عاد يدور نحو الموقف الذي صعدت إليه، أي نحو منزلي، و لكن هذا لم يزعجني بل أفرحني قليلاً فكل ما أرجوه الآن هو الخروج من هنا، من هذا السجن الذي يتغوّط في قلبي، من نظرة الركاب، من اعتقادهم أنني نكرة، مسخ من مسوخ صنعته الجينات بهيكل و تكوين خاطئ و مزعج و مهين للطبيعة، فها أنا كلي مسخ، أي أنني أنا أيضاً أراني كذلك، فأين أنت يا

منزلي؟ ها هنا لن أتعلم في التحليل لنعد إلى القصة ، بعد أن أدركت أنني سأخرج بعد ربع ساعة من الآن استعدت قليلاً نشاطي ، قليلاً يكفيني لأقاوم كل شيء حدث وسيحدث حتى الخروج ، حتى لو صرت جنازةً في هذا الباص فيكفيني أنني ملكت أملاً يخدمني حتى أقاوم هذه اللحظات السوداء البائسة ولكن ما حدث معي بعد ذلك شلني ، الموقف الذي وقف عنده الباص دخل منه شرطي في ثيابه المدنية ولكن عرفت أنه شرطي فالمعلول يعرف علة و الخائف يعرف خوفه ، يدركه بكل مشاعره ، دخل هذا بخطواته الثقيلة و بنظراته الفاحصة للوجوه و الملامح ، كل تعبيراته و حركاته و إحياءاته تثير خوفي ، تحرق وجداني و تصلب جسدي و تتمل ساقى و تجعل وجهي ليمونةً يتبخر عليها الماء و العرق ، عاد الكابوس ، لا بل أنا في كابوس ، إنه لواقع كابوسي ، حربٌ على النفس ، هي هذه الحروب الأكثر عنفاً بين البشر منذ قوم هومو إلى أن تنفى البشرية من على الأرض ، ها أنا ذاك الفرد الذي يمكن له أن يجمع بين النقيضين ، أي أن يكون ميتاً يدرك موته ، ها أنا هو الحقيقة التي لا يتقبلها المنطق الأرسطي ، أنا المسخ الحقيقي الذي يدرك ذاته المشوهة المخنوقة في سجنه

الضيق، السجن الذي لا يتركك تحرك إصبعك ولا حتى جفونك، كل شيء يتصلب و ينهار مع الزمن، الكينونة تقصد الموت بكل حركة تقوم بها،

دخل بين الحشد ناظراً متفحصاً الملامح وكأنه يبحث عني، أي أن عقلي اللاواعي يقول لي أنت الشخص المقصود، هل لأنني مسخ أم لدي حب، حب لتلك الرغبة، رغبة في نشر الخير و الوقوف معه و لكن رغم ذلك أراني ضعيفاً في حضرة من يكرهون الخير، لعل القرن ينحاز إلى الشر أكثر من الخير، و لكن في الأخير قد تكون هذه من الهلوسات المثالية، أي يجب أن أؤمن باعتقادي بأنني مخطئ كي أتهرب مما أعتقده في داخلي، و كما قلت في السابق أنني يجب أن اترك عقلي في البيت حينما أنوي الخروج منه، نعم فهذا ما يجب فعله، ثم إن المسخ عليه فعل ذلك، أنا من هؤلاء الذين يتشوهون من التأثير السلبي لما يحدث و ما سيحدث، أو من الذين يتصارعون و يقاومون التشوّه حفاظاً على الذات و لكن أظنني من الفئة الأولى، على الأقل الآن فقط يجب أن أعتقد ذلك بكل جوارحي فهذا الخليط القذر يجب تذوقه، علي أدلجة ذاتي لبضع دقائق، لبضع أيام، لحياة كاملة، فهذه هي التضحية التي على كل ذات في الشرق الأوسط

تقديمها كي تتنفس، كي تكون مسخاً أنيقاً.
لا لن أكمل القصة!، لا بل انتهت القصة حفاظاً على تشوهاتني التي نعتقد أنها طبيعية و بكل قناعة تامة،
لربما تقولون ما هذه القصة القصيرة التي لا تعبر إلا عن ذاتها كقصة مشوهة مملّة، و لربما أنتم صادقون بما تعتقدون ولكن لا تكونوا بكل هذه الثقة العمياء، إنها قصتي، قصة حياتي، كابوسي، دلالاتي على تشوهي بينكم، بين رغباتكم المتسلطة على ذاتي، وكل ما تعتقدونه صائباً في القصة هو محض هراء رومنسي، لقد اتعبتكم معي اليوم بهذه القصة التي ظللت أكتبها لعام كامل، عام من تصور ذلك الكابوس الذي رأيته في الباص، من تصور ذلك الكابوس الحقيقي الذي قصصت ثلثه كي يُنشر بهدوء، ولا أكون اسماً يتداوله القراء إنما قصة مرمية في قبو المكتبة، ألا يحق لي الآن القول أنني المحدث عن إرادة التشوه كما حدثكم قبلي بعض الثرثارين عن إرادة القوة و اليأس.... الخ، إنه الأدب الذي يكتب في الشرق الأوسط، الأدب الذي يتحدث عن مسوخ، عن أحداث مشوهة، عن وقائع ناقصة، عن حقائق مختبئة تحت سرير الله، عن منطق ضائع، عن رغبة الخير التي صارت قناعاً يُتداول بين الجميع، بين

جميع الخنازير، عن ماذا أيضاً، نعم فلأنطق الآن و أمامكم جميعاً، لقد رفضت أن أكون نبياً، أن أكون إنساناً، أن أكون شخصاً تعتقدون أنه يحمل في قلبه جميع الفضائل، لقد هزمت شرهزيمة، خسرت، صرت مسخكم الذي تثرثرون عنه عندما تأكلون و تشربون و تمارسون الجنس، صرت منكم و الآن و في ما تبقى من ما أعتقده حياة عليّ تدمير ما أعتقده، جميع رغباتي، و إلى ذلك الوقت سأظل ذاك الرجل و كما قلت لكم من أول صفحة .

ثقيلٌ أنا، أكثر من اعتقادي بذلك، أكثر من كوني حقيقة ثقيلة على نفسي، أكثر من الوهم المتراكم في عقلي، مثلما لا أعتقد أنها مبالغة مغفلة لذا عليّ الاعتراف بذلك على مدة اليوم كله، كلما أفعل شيئاً أو أفكر في فعل شيء أو لا أفعل شيئاً أو لا أفكر في فعل شيء، و أنا ساكن بكل هذا الفراغ الممتلئ بالفراغ أكون ثقيلاً، هذا لو تيقّنت بأنني أتأمل في الفراغ طبعاً لعدم وجود يقين بأنني على معرفة حقيقية تدفعني لأتأمل بواقعية، و لكن رغم كل هذا أو كل هذا يدعم بطريقة لأكون ثقيلاً لدرجة أفرط فيها حتى أصل إلى مستوى سريالي بعيد كل البعد عن الوجود، أي أن أتعالى على العقل

و منطقہ و تفكيره ، قد تعتبرون ذلك من السفسطة و
لكن أنا أعتبره الاتحاد مع اللاوجود و تحرر خيالي عن
أوتاد الزمكان و الوجود ولكن رغم ذلك أظل ثقيلاً أو
كل هذا يجعلني كذلك.....

* * *

على حافة البحر

بشباب مهترئة، بجسد هزيل صاح للفتاة التي كانت
جالسة فوق التلة المطلة على البحر

- أنت خضراء فلم هذه الوحدة القاتلة؟

جلس بجانبها ناظراً نحو البحر ولونه المضيء، بعد
هنيهة من الصمت عاد قائلاً

- الحياة، امتلاكها صعب جداً، أو ربما مستحيل،
قد تجدين و تجدين و لكن كلهم أو جلهم تعساء

نطقت بعد أن أثارها الحديث

- أين السعادة إذاً؟

- حسنا، بما أننا في هدوء فلنتحدث قليلاً، و أول ما
يجب أن تعلميه هو أن سؤالك خاطئ جداً، كان عليك
طرق الصدى بسؤال آخر، مثلاً (كيف تكون الحياة
(سأجيبك، إننا مقيدون بالمادة، بالغرأز، بالدوافع
التي غرست فينا منذ الصغر، قد تلاحظين أن كل
التعساء هم الذين تم اغتصابهم في طفولتهم أو شبابهم
بطرق و أساليب مختلفة، قد تقولين (أيجب أن نغتصب

كي نبحث عن الحياة) ليس مهماً هذا السؤال أكثر من
(كيف تكون الحياة)، إننا نتنفس ونأكل ونشرب و
نمارس الجنس ونطبخ ونتزوج... الخ، التعميس يفعل كل
ذلك و السعيد أيضاً، إذا أين تكمن الحياة؟

-أين...، أخبرني...!!!

- الحياة لكلمة ذات غواية دفينية، ذات متاهات و
غابات كثيفة، و لا يمكننا التعبير أو التعريف عنها
بكلها و لكن يمكننا أن نجد حياتنا الخاصة، الذاتي،
و ها هنا نبدأ بالسير نحوها، الذات.

- لم أفهم...

- نحن نمتلك ذواتاً علينا أن نوضحها لنا بأساليب فأنا
مثلاً أكتب، أجعل الورق مرآة لذاتي و لربما أنت أيضاً
تفعلين شيئاً ما!!؟

-نعم أنا أرقص، أحرك أوراقى..

-إذا أنت تبحثين عن الحياة، أو توضحين ذاتك لذاتك،

و هنا السؤال الثاني، مع من ترقصين؟

احمرّ وجهها ثم تكلمت

-أرقص أمام المرأة.

-إذا هذه طريقتك في رؤية ذاتك كي تشعرين

بالحياة، جيد، أنا أيضاً أكتب لذاتي ولا أنشر، إذ أشعر بالقلق على ذاتي فلربما تعرفين أن الفئة التي تشاركنا أساليب اقترابنا من الذات يشتركون في تكوين ذواتنا، بنظراتهم ومشاعرهم التي يرون بها طريقتنا، فأخاف أن أنشر عملاً لي و يقرأه المراهقون فأضيع ذاتي و أنت إذا رقصت أمام البحر سيتموج صفاءً و إذا رقصت أمام النار فستلتهب و لربما تأكلك.

سمع صوت بائع متجول فأشار له

- لطفك يا سيد،

و كان أمام البائع تلة عليه أن يصعدها كي يصل

إليهما، قالت له :

-لا تتعبه في صعود التلة

أجاب:

-هذه هي الرأسمانية

سكب لهما البائع كأسَي شاي، فأخرج من جيبه

مالاً و مده إليه، شكره البائع ثم نزل

-أعطيته ضعف المبلغ..

-و هذه هي الإنسانية..

عادت تعيد الرجل إلى الحديث

- ألا تعلم أننا نقصد طرقاً كثيرة ونندم، لا بل تظلل
 تراجيديا هذه الطرق ملتصقة بنا طوال العمر
 -كلامك صحيح و لكن دون ذلك لن تشكّي
 بوجود ذاتٍ تمتلكينها، إننا تعساء لسببين، أو لربما
 معظم البشرية كذلك، الأول هو الماضي و الثاني
 هو المستقبل، ندهما كل القيمة و العاطفة و ننسى
 الحاضر و الحاضر هو رحم الحياة، إذ الحياة هي
 هذه اللحظة التي نعيشها الآن فالماضي بذهابه مات
 و المستقبل ببعده ضائع دائماً..

قالت الفتاة بهستيريا

-ربما... ربما... ربما

فوقهما بقليل شخص ما قال بغرابة للبائع المتجول
 ذلك، الذي مرّ بجانبه

-ما به هذا المجنون يتحدث مع هذه الشجرة؟

- هذا الرجل فقد كل ارتباطاته بالحياة، يأتي كل
 يوم ليتحدث مع أوراق و أغصان هذه الشجرة، كل يوم،
 و اليوم الذي لن أجده فيه هنا فحتماً سيكون ميتاً...

* * *

الطارق

كنت أطرق الباب بعنف، بعنف قاتل، لم أكن أسمع صوته كي أكفّ عن عملية التخلص من بعض الضجر في الطرق على الباب بهذه الطريقة الوديعة ولكن ويا ليته لم يفتح الباب، لم يفتحه أبداً، إلى آخر لحظة من حياتي، إلى ما لانهاية، هذا ما كنت أرغب فيه فعلاً، بل كنت سأطبّق كل ما أقوله الآن بالحرف وبالفعل، كنت سأطرق الباب إلى أن أموت، إلى أن يجيء صديقي الموت، ولكنه قام بذلك هذا الأحمق، كم أزعجني ذلك، كم قهرني ما فعله صديقي حينما فتح الباب، و لم يذهب من الزمن إلا عشر دقائق، أتفهمون ذلك، يا إلهي، ما هذا الألم، ما كان يجب فتح الباب وتدمير كل أحلامي، بل تدمير حياتي، ولكنني ومن شدة غضبي ضربت وجهه بقسوة شديدة

-لماذا فتحت الباب؟

-لأنك تدقه لأفتحه أم ماذا، لم ضربتني؟، ثم ألا تعرف كم هي الساعة الآن إنها العاشرة وهذا موعد النوم، فلتفهم، لقد تأخر الوقت، فإذا لديك سبب مقنع

لمجيبك وإلا سأطردك شرّ طردة، أنت تخالف القوانين، أنت لست أخلاقياً بما فعله، هل تعلم ذلك؟، قل، تفوه بما تريده بسرعة، المدينة نائمة و أنت يجب أن تنام، نعم يجب عليك ذلك!

-نعم، نعم، أفهم يا.....، لدي، لدي الكثير لأقوله و لتفهمه، لديّ شيء مهم و عاجل، لدي مشكلة، بل لديّ دودة تزحف في عقلي و لا تهدأ، فلتفهمني يا.....، فلنذهب إلى غرفتك و بسرعة...

استعجلت في أخذه إلى غرفته و أغلقت باب غرفته و ورائي و كأن البيت بيتي و كأن الغرفة غرفتي ثم أجلسته و جلست بجانبه و قلت

-يا صديقي، يا عزيزي، لديّ مشكلة و يجب أن يكون عندك الحل و إلا أنت ستكون ميتاً بعد دقائق، لا لأنني سأفعل ذلك بقصد بل لأنني لن أستطيع مقاومة رغبة القتل، أي أنك ستموت، الآن نحن في غرفتك، في بيتك، انتظر قليلاً... (قمت و أطفئت الضوء) هكذا أفضل كي لا تفكر في شيء أبداً سوى الحل الذي سيكون في داخل دماغك، عقلك هذا، الجميل، فلترسل بسرعة الضوء كل ما أقوله إلى منطقة الفهم، يجب أن تفهم بسرعة عجيبة، أنا سأكون هادئاً، قليلاً،

نعم، يجب ذلك، بكل قوتي سأكون كذلك، إذاً، إذاً فلنبداً، أول شرط عليك أن تعرف شرطي، عليك معرفة ماهية ما سأقوله، أي ما خلف كلماتي، هذا العميق الذي يختبئ خلف المعاني، أي اللامفهوم الذي عليك فهمه، أنا بائس، جداً جداً، لدرجة لن تفهمها و عليك أن تفهمها كما أني ضجر و عنيف في غضبي، بي و بكل ما أفكر فيه، و لكن هذه بعض التأثيرات الجانبية، كما يكون ذلك في الأدوية الطبية... الخ، الخ، و أنا أشعر بالاشمئزاز و القرف و الألم، هذا الألم الذي ولدنا به و سنذهب إليه، مؤكداً أنك تفهم ذلك، ها أنا أقترب قليلاً، هيا قل شيئاً لنقترب أكثر مما سأقوله لك، من تلك القبلة الصامته، من تلك.....

- ما بك يا رجل، كنت محترماً و خلوقاً في كل حياتك، كم كنت، الرجل الأعلى و الأسمى لكل من يعرفك، حتى أنا كنت منبهراً بعظمتك الاخلاقية، ما الذي حدث؟

- نعم أنت بدأت تفهم قليلاً، كلامك يجعلني أقترب منه، نعم، يجب ذلك، هي كذلك، بنظرك و بنظر كل من تفكر به و أفكر فيه، و لكن ليست كذلك بالنسبة لي، لقد، لقد مللت و ضجرت و تعبت تعباً ثقيلاً مزعجاً

من كل شيء، حتى أنني الآن لا أعتقد أنني أعيش بل
لم اشعر يوماً بأني أعيش وأن هذه هي الحياة، تكلم،
تكلم أكثر، فلنقترب أكثر، أكثر....

-لا أعرف ماذا يجب أن أقول لك، أنا صادق بما أقوله.
-صديقي أريد محفزاً، أريد ضوءاً، فلنذهب باتجاهه.
-فلتهدأ قليلاً ريثما أسخن الماء لنشرب الشاي لربما
قد نصل و نحصل على ما نريده.

-نعم، لقد فهمت ذلك، لقد فكرت بذلك، جعلتني
أفكر بذلك، هيا قم وأحضر بعض الصحون والكؤوس
لأكسرها، هيا يا رجل

عاد ومعه بعض ما ذكرته وبدأت بما فكرت به ثم
جلست مرةً أخرى بجانبه
-لا، لم ينفع...

-يكفي يا رجل لقد جعلت كل من في البيت ينزعج
منك، ها، اسمع، استيقظ الجميع، كل عائلتي
-نعم ها نحن نقرب، هيا أحضر الجميع، هذا قرار
يجب أن تلتزم به فوراً قبل أن يجنّ جنوني أكثر.

حضر الجميع وهم في خوفٍ مطبقٍ على ملامحهم إلى

حد أن النعاس طُرد بعنف من جفونهم

-أيها السادة الكرام، يا عائلة صديقي الجميلة، أهلاً بكم في حفلة البحث و التعمق، عن ماذا يا رفاق؟ عن ماذا يا سيدتي الأم؟، وهذا ما يجب أن نبحث عنه، نعم هذا هو، فلتجلسوا جميعاً بهدوء لتشرعوا في العمل على الفور، هيا يا.....، ولأكون واضحاً بشكل جميل معكم فمن حسن حظكم و من طيبة قلبي أن أخبركم أنني سأقتل صديقي الجميل و الطيب، هذا الجالس الآن في غرفته البسيطة، في حال لم نصل إلى ما أدعوكم إليه، أعتقد أنكم تفهمون ذلك بكل لطف، شكراً لكم، لاستماعكم الذي لن أنساه ما حييت، و الآن لنذهب إلى القصة، القصة التي حدثت في اللاحث، لقد كنت جالساً أفعل كل ما أفعله كل يوم، ما تعرفونه، في هذا اليوم المشرق قمت كما هو في كل يوم في الساعة التاسعة صباحاً، ثم بعد ربع ساعة من بعض الصراع مع النعاس خرجت مسرعاً (كما هو في كل يوم) أوزع الابتسامات على الجيران و العائلة الجميلة و أقوم بكل فعل طيب و أخلاقي، الاخلاق التي تعلمناها من كل من عرفناهم في هذه البلدة البديعة، و ما هو...

الخ، ثم بعد كل ما هو روتيني وجميل و طيب عدت إلى البيت، و إلى غرفتي طبعاً، و ما أن مرت لحظات حتى شعرت بشيء غريب، شيء لم أشعر به من قبل ولا أعرفه ولم أعرفه حتى الآن، و لكن فلنعد قليلاً، إلى حياتي الجميلة الطيبة البديعة المشرقة البسيطة المرحه ال.....، آه، ها هي، إنها تتحرك داخل جمجمتي، إنها تزحف ببطء شديد، بشكل مستفز و مزعج للغاية، ألا تشعرون بذلك يا لطفاء، يا أيها الرائعون؟، أما شعرتم به من قبل؟ أما دخل في رأسكم شكٌ أن هناك شيء معقد، شيء لم تشعروا به من قبل، شيء لم تعرفونه من قبل، شيء غريب عن كل ما نعرفه و نمارسه و نتفنن فيه بطرق فنيّة راقية، بأخلاقنا العالية؟، ها قد شرحت كل شيء، كل التفاصيل، كل ما أشعر به الآن و لكن أعود و أكرّر أنّ كل هذا ليس إلا التأثيرات الجانبية للدودة ال..... التي تسخر عليّ من داخل جمجمتي، و ستسخر عليكم حين أقوم أنا و بكامل أخلاقي المجيدة بقتل طفلكم البريء البسيط و لن أتردد في ذلك و ليس لدي أية حيرة أو شك في ذلك، أي أنني قد حكمت على ابنكم بعقابه ال.....، هذا الطفل الصديق الجالس أمامكم الآن، و يا

للأسف على حياتكم من بعده، إذاً فلتفهموا أيضاً أنني أشعر بالأسف على حياتي الآن، بل على كل حياتي، منذ ولدت إلى اللحظة التي أقول فيها هذه الكلمة وإلى كل الزمن الملتصق بغرابة بهذه الكلمات اللطيفة التي أتفوه بها على عجل لكم أيها الرائعون، ها قد مرّت، نعم، إنّ القرار قد بدأ يقترب من التنفيذ، فلتتخلوا معي، كل ما يحدث الآن في مخيلتي البسيطة، جنودٌ يجرون ابنكم إلى منصة الأعدام، الجنود مجاز كل ما أشعر به، وها قد وقف صديقي على الكرسي وها هو الحبل قد التفت بلطف وحب حول عنقه الجميل البائس، وها أنا قد ضربت الكرسي بقدمي بكل عنف لطيف، إذاً، إذاً يا أحبة لقد تخيلتم كل ذلك في خيالكم العبقري إذا فلنعد إلى الواقع الأخلاقي ال.....، و كما تعرفون أنني أحمل سكيناً لأنني أتيت وأنا أضع السكين في جيبي، أي أنني قد خططت لكل ذلك منذ أن كنت في البيت أصارع نفسي، ها قد ترون ذلك، إنني أخرج السكين من جيبي، فلتتصدموا الآن.....

قتلته و تراجع ببطء إلى جانب صديقي وهو يحتضر

-لقد قلت، لقد فعلت، لقد قلت، لقد فعلت، هذه هي

الحقيقة، هذه هي الحياة اللعينة الحقيرة التافهة البائسة
الخنزيرة.

صرخت بأعلى صوتي:

-نعم لقد وصلت إلى الحقيقة، لقد مسكت الدودة،

هه، هذه هي.

* * *

صباح الدمع

دومًا ما أقع في مكائد المواقف المؤثرة فلا أحد يعرف كم اصبع للقلب احترق فوق نار المعنى ولا كم مرة غرقت متجهاً نحو القعر وأنا مستسلمٌ للمياه وهي تتسرب إليّ، الأوكسجين يصير ثقيلًا على رئتي الوعي حينما يشتعل الموقف في ممر الزمن تحت جبروت المكان، صدفٌ تجرّ أذيال المشاهد السوداء و العبث مخرجٌ متمرّس.

نهضت كسولاً من سرير النوم وأنا أحاول رؤية الساعة بشكل فصيح، كانت الساعة تدق أجراس الذهاب إلى العمل، كما هو مرّوض كل يوم لينتشلني من قيود السرير، ارتديت ثيابي المهترئة، التي تفوح منها رائحة العرق وروائح أخرى تصلح لصناعة قبلة كيماوية، قصدت بيت المختار ودفعت دينه الأزليّ ثمّ غسلت الوجه والملامح من غبار الموت و خرجت من البيت العتيق وأنا أدندن بعض الأغاني الفلكلورية بشكل متقطع دونما وضوح، فهذه مصيبة الذاكرة الصباحية، وهذه حالتي في كل صباح ولأنني عنيدٌ تورّطت في التفكير

بملامح الأغاني علني أعيد أسطورةً كاملة إلى مخيلتي
وهذا ما جعلني أترك الأقدام تمشي لوحدها بقدرة العقل
الباطني، فركت أذن آخر مقطوع من أغنية و عدت إليّ
لأجدني قد تجاوزت مكان العمل بعدة شوارع طويلة،
لم أفكر في الخيارات المتاحة وأسرع راكضاً إلى
العمل وأنفاسي تتسابق في مرثون الصوت، وصلت ثم
دخلت كالبهلوان وهو خارج من عرض نفذت فيه كل
طاقته، نظر إليّ مدير العمل فأبعدت عيني عنه ولكن
الخطيئة هنا يجب أن تقطع رأسها، فإذا بصوته يهزّ طبله
أذني بقسوة :

-لا تتأخر مرةً أخرى أيها اللعين....

انسدلت جفوني لإرادياً ولكنني أمسكتني بقوةٍ و
مشيت بخطواتٍ ثقيلة نحو عملي وأنا أحاول بلع لعابي
بصعوبة

مرّت الدقائق و الساعات و أنا منكبٌ على العمل دون
إدراك لما يحصل حولي.....

ولكن بعض القهقهات أخذت انتباهي إلى شفاه
ضاحكة، تضحك بعفويةٍ تامة

كانوا يضحكون على رجلٍ ذي بشرةٍ سوداء و عينان

كبيرتان و جسدٍ ضخْم، كان الرجل غريب اللغة و الأصل بينهم، و كأنني أراه يصارع سقْف المنفى بصمته أو كان يحيي مدينة الصمت من ركام الكلام.

توقفت عن العمل رغماً عني وراقبت حركاته و ملامحه و إحياءاته، مرّت دقيقة كاملة اشتدّ فيها صوت الضحك، كان أحدهم ينادي (زنجيبي)، و كأنه يلقي نشيداً وطنياً عن وطنٍ في مستنقع، مرّت دقيقة أخرى، قلت لنفسي أنه لن يخرج من قبو الصمت و لوهلة كنت سأعود للعمل و إذا بعينيه تغرقان في الدمع، كانتا تغرقان ببطء و كانت القيامة تقترب من جسدي و ترسل أولى الرعود بعث، فغيّرت مسرعاً اتجاه الرؤية كي لا أصطدم بجبلٍ أكبر ولكن العاطفة أخذتني مرةً أخرى إليه و هي تتعرّق راكضة في غابات الصنوبر، كان الرجل لازال واقفاً بقامته الطويلة يتلو آيات الصمت و يمسك القلب من تعرّجات الطريق و يملأ رئة الصمود بأطنان الفقر، طال صمته و طالت مواعيد وعود الإنسانية و لكنّه فاجئ المشهد بارتجال الخلجة، وضع يده السوداء كقلوب البشر في جيبه المهترئ، ظننته سيخرج سكيناً ليسخ جلود الكائنات الضاحكة، ظننته سيخرج قلبه الذي وقع في جيبه و يقول: هذا

قلبي يا ملاعين.. ظننته سيخرج شفرةً ويقطع طرق دمه
المتدفق من قلبه الأبيض، ولكنه كسر جبال الظنون
بكلتا قلبيه (قلبه و قلب الإنسانية)، أخرج صورةً صغيرةً
و شرع يحملق فيها و يبعث الآهات إلى السماء، زلزلتني
قشعريرةً بقوة ٧ ريختر، وقفت كل عظامي استقاماً،
خلجاتُ تخرج من رحم القلب، فنطفة المشهد لم تستغرق
إلا ثواني فقط لتتضج وتصل إلى بويضات القلب، وجدتي
أركض، ألهث، أروض الهواء داخلاً إلى مشهده، ليست
أكثر من رمشة عين إلا و وجدتي أحضنه و أبكي.

* * *

العاجز و العذارى

يوم الاثنين ، يومي المفضل للتلذذ بنكهة القوة والثروة أمام أعين جميع موظفي شركتي الخاصة. دخلت الباب الرئيسي لشركتي وأنا ألصق جبيني بالسماء وعينايا تراقبان أي خللٍ أو كسلٍ بسيطٍ من أي موظفٍ لأتلذذ بإهانته وشمته. لم أجد أي ضرر في الخدمة ، فتح لي عاملُ البوابة التي أصل من خلالها إلى ذروة اللذة ، باب المصعد ، صعدت نحو طابقي الأخير. فتح لي موظفٌ آخرُ باب المصعد ، فقصدت غرفتي ماراً بين الكثير من الموظفين. ولي عادة قلتها لنائبي «نمر» كي يخبر الجميع عنها ، وهي أن يقف الموظفون باستقامةٍ وبهدوءٍ حينما أصل لخطوتي الثالثة ، خطوت خطوتي الثالثة فوقف الجميع بانتظام من على حواسيبهم ، لاحظت تأخر أحدهم ثانية واحدة ، فقصدته ماشياً بكل قوة ، وصلت إليه وأخفضت نظارتي الشمسية بحركة بسيطة من أصابعي ، ففهم قصدي. وبينما كنت أخطو خطواتي الأخيرة نحو غرفتي ، نظرت خلفي وجدته قد فر نحو بيته مطروداً. ابتسمت مستمتعاً وأنا أدخل إلى

غرفتي المزينة بالذهب واللوحات القيمة. كان نائبى
 «نمر» يمشي خلفي بخطواتٍ قصيرةٍ وحينما أضع
 مؤخرتي على الكرسي الذهبي يجب عليه أن يكون
 ناطقاً بتحية الصباح وفي يده مستندات التحويلات
 المالية. فعل كما هو مطلوبٌ منه ووضع المستندات
 على الطاولة التي تشبه عرش الرؤساء، دقت
 بالمستندات وهو واقفٌ أمامي، يتنفس دون صوت
 خشية إثارة غضبي. أكملت التدقيق وقلت له بصوتٍ
 خافت:

-اليوم الاثنين..

-حسناً سيدي «غرير».

دنا من المستندات وخرج من الغرفة دون صوت وكأنه
 يمشي على الريح. مرّت دقيقة، ثلاثة، خمسة، تسعة..
 نظرت إلى ساعتى وأنا أريد منه أن يتأخر ثانيةً واحدة
 فقط لأوبخه بأرذل الكلمات، وصل عقرب الثواني
 إلى حدّه المطلوب فدخل فوراً ومعه فتاةٌ شقراء، بعينين
 خضراوين وشففتين لامعتين كلون العسل، وساقين
 نحيلتين ملتصقتين بالبنتال، بشعرٍ أصفر كالذهب
 ووجهٍ مدور كقرص القمر، وبشخصيةٍ مصنوعةٍ
 بقالب الكمال ونهدين كبيرين متكورين صارخين

بالشهوة، بمؤخرة بارزة ومدورة بقوة كمؤخرة سيارتي،
وبخصر نحيل.. مشت نحوي بطريقة أنثوية خاصة جعلت
شلالاً من اللعاب يسيل من طرف فمي!

-صباح الخير سيدي الجميل «غرير».

-صباح المتعة يا جميلتي.

قبلتني وجلست على ساقي، فرغبت بقبلةٍ أخرى. دنوت
من شفيتها وأخذت لذة أخرى من مملكة المتعة.

-فلندخل غرفتك السرية يا بطلي.

-ليس الآن، إنما بعد قليل.

ولكن هذه ليست متعتي الأفضل، إنما هي لحظات
وتدخل متعتي الأشهى. مرت لحظات وأنا أتفحص تفاصيل
جسدها من أخص قدمها إلى أعلى رأسها، فدخل نائبي
ومعه ثلة من الفقراء الذين يطالبون بفرص عمل، وكما
هو متفق بيني وبين نائبي «نمر» بأن نترك الفقراء حتى
يومي المفضل. دخلوا وثيابهم مهترئة، رآحتهم عفنة،
ووجوههم مسودة، رؤوسهم لامعة، وملامحهم توهي
بالضعف والعجز والجبن. اصطفوا خلف بعضهم البعض
كالعبيد، اقترب الأول نحوي وقال بصوت متقطع:

-مرحباً سيدي، جئت أطلب منك عملاً فلدي أطفال

صغار.

استدرت بكرسيي المتحرك وقلت بقسوة:

-ألم تتعلم الاحترام أيها الأصغر الخرف، قل بعد إذنك
وإلا رميتك من النافذة لتسقط أشلاءً على الأرض.

رد علي بخوفٍ بينما كنت أزداد متعةً:

-أعتذر منك سيدي، أطلب السماح والمغفرة فأنا
عبدك الفقير.

رفعت صوتي أكثر من ذي قبل

-تباً لك ولأطفالك المقززين أيها اللعين، ارحل من هنا
هيا.

عاد أدراجه فتقدم الآخر وقال وهو يرتجف خوفاً
وكأنه يرى كابوساً ولا يستطيع الخروج منه:

-سيدي العظيم، بعد إذنك، أريد أن أعمل عندك.

لاحظت من تفاصيل ملامحه أنه فقيرٌ، وأنه قد يبيع
أعضائه مقابل المال. حركت سبابتي ليقترب مني وقلت
بسخرية:

-تعال لتعلق حذائي أيها اللعين.

ذهل بهذا الأمر الذي يجب أن يلبي وإلا سيندم! تحرك
من مكان وقوفه نحوي وكأنه فنجان يهتز بين كفيّ.

ركع وأخرج لسانه، أخفض رأسه باتجاه حذائي ببطء،
إلى أن وصل ولعقه. قلت للشقراء وأنا أزداد نشوةً كترابٍ
يمتص الماء دون شبع:

- هكذا يجب أن نعامل الفقراء الفاشلين.

ابتسمت بالقبول ومررت كفها الأيمن نحو صدري
وبدأت تفضّ القميص زراً زراً، وقالت برقة:

- هيا بنا حبيبي..

حركت كفي موضعاً للجميع بالخروج. خرج الجميع
خافضين رؤوسهم الفارغة، واضعين أيديهم في جيوبهم
المتقوية، آخذين معهم روائحهم النتنة. قلت لنائبي «نمر»
الواقف أمامي:

- أقفل الباب بالمفتاح خلفك.

فخرج، وبعد أن تأكدت من صوت المفتاح وهو يدور
في فتحة القفل، نهضت ماسكاً مؤخرة الشقراء،
متوجهاً نحو الغرفة السرية، تاركاً خلفي القميص.
فاذ بهاتفني الجوال يرن ويرن، أخرجته من جيبي فرأيت
اسم ابنتي الكبيرة. نبهت الشقراء بأن تصمت، وفتحت
المكالمة..

- أهلاً ابنتي ياسمين، كيف حالك؟

-بخير أبي، أين أنت؟

-في الشركة، لدي عمل، لا تخافي لم أنس موعدها.
النزهة.

-جيد، لقد سمعت قبل قليل نبأ مزعجاً..

-ماذا هناك؟ هل حدث شيء ما لرولا أو لغاردينيا؟

-لا، هما بخير، ولكن بعض القنوات تنبه بحدوث زلزال في المدينة.

-لا تخافي يا ابنتي فمعظم الأخبار كاذبة، سنتحدث لاحقاً فأنا مشغولٌ جداً، انتبهي لنفسك حبيبتي الجميلة.
-حسناً أبي، وداعاً.

أقفلت المكالمة ورميت الهاتف على السرير المخصص في الغرفة السرية، نظرت باتجاه الشقراء بالطريقة التي جعلت بها جميع النساء اللواتي يأتين إلى هذه الغرفة يخفن. ولي عادة ممتعة أخرى، وهي أنني قبل أن أقترب من أي أنثى أضع يديّ حول عنقها إلى ما قبل ثانية الموت. صفعتها ووضعت يديّ في جيدها وضغطت بقوة فبدأت تقترب ببطءٍ شديدٍ من الاختناق. كرّرت العملية ثلاث مرات وفي المرة الرابعة وضعت أصابعي في حلقتها لتحمرّ وتحمر كلون الدم، أخرجت أصابعي ورميتها على

السريـر. انشغلت بي وبثيابي التي أرمي كل قطعةٍ منها في مكان. تعريت كاملاً، اقتربت منها ووضعت ثغري على ثغرها وأنا أعريها من ثيابها.. قميصها الملون، بنطالها المطرز، وإذ بالمكان يهتز فجأةً، يهتز ويتحرك أكثر فأكثر وكأن شيئاً ما سقط من السماء، أو أن عملاقاً يكسر الصخور ليخرج من تحت الأرض. سقطت معظم اللوحات واحدة تلو الأخرى، المزهريات وقعت أرضاً، والذهب يئن خوفاً! أصابتني نوبة رعب غير طبيعية، بصراخ مفاجئ من الشقراء، لهتت نحو أقرب زاوية وأنا عارٍ من الثياب والحياة! صدر صوت مرتفع وكان البناء بأكمله قد انهار. ارتفعت النسبة المئوية للذعر، بدأت أهلوس وأردد أسماء الآلهة طالباً الرحمة، وكأني لست أنا أنا! اهتز المكان أكثر كأرجوحة في وسط العاصفة. لاحظت الخطوط المتعرجة تحضر نفسها بين الجدران بصمت، أغمضت عيني وقلت لنفسي «اصمد».. فتحتهما فوجدت الشقراء تتصارع مع نوبة الموت، لعابها يسيل كالماء. قلت لنفسي مرة أخرى «إن بقيت حياً سأنتغير!» ضاحكاً على نفسي، فالتغيير لا يقدر على فتك قوة شهوتي وقوة السلطة التي تمشي حافية القدمين في شراييني فهي تجعل الإنسان يتوهم بأنه صاحب

الكوكب. مرّت دقائق والوضع يزداد سوءاً وروحي
تجرف أكثر فأكثر نحو دوامة العجز، والأصوات
تمتزج ببعضها ليكون الصوت الصادر أكثر رعباً من
أصوات الأشباح. صوتٌ آخر يخرج من رحم المعاناة، إنه
صوت تشقق البلاط الذي يندر باقتراب الموت من الروح
واقتراب سقوط مملكتي كلها! سقطت أجزاء صغيرة
من السقف وللحظات سقط نصفه، سقطت أرض غرفتي
بأكملها وأنا أسقط معها صارخاً للصدى..

-ليتي لعقت أحذية جميع الفقراء وخرجت معهم من
الشركة..

-سيصحو، لا تخافن عليه.

-نتمنى ذلك يا دكتور.

-يمكنكم الجلوس هنا ريثما يستيقظ من الغيبوبة.

سمعت كلاماً وجدته غريباً بعض الشيء، روضت
الرؤية بصعوبة بين الظلام، لم أربّوض لبرهة من الزمن،
ولكن صارت الرؤية قريبة من الوضوح تقريباً. وجدنتي
على سرير، فوق سقف أبيض. تعمقت في تفاصيل
الجدران لم أجد أي أثرٍ للشقوق، سلكت بالرؤية نحو
طرف السرير وجدت بناتي يجلسن وملامهن صفراء

بالذعر، عيونهن ناعساتُ بالحزن، أدركت أن هذا المكان هو المشفى. شعرت بالسعادة لأنني لازلت حياً، وكأن ماءً بارداً يجري في عروقي. نطقت بصعوبةٍ بالغة وبصوتٍ خافت كضوء السعادة:

-كيف حالكن يا جميلات؟

انتبهت ابنتي الأصغر «غاردينيا» ليقظتي، نهضت بقوةٍ من على الكرسي كفراشةٍ تحلق لأول مرة وقالت بشفاهٍ منفرجة:

-لقد أفاق، لقد أفاق..

حلقت بعدها «رولا»، وبعدها ابنتي الأكبر، في سماء الفرح.

رولا: أبي، أبي، لقد اشتقنا إليك.

ياسمين: حمداً لله على سلامتك أبي.

ابتسمت لهن وقلت:

-أنا بخير جميلاتي.

أكملت حديثي بعد برهة من الزمن..

-ماذا حدث؟ وأين نحن بالضبط؟

ردت ابنتي الكبيرة بحزن فاضح:

-ما حدث هو أن زلزالاً قوياً ضرب المدينة، ونحن الآن

في المدينة التي كان يفصل بينها وبين مدينتنا البحر.

قالت رولا بطريقة غريبة:

-نحن هنا منذ أسبوعين و....

قلت مسرعاً بفضول:

-وماذا؟؟؟؟

بلعت لعابي وأكملت حديثي:

-أريد منكن يا بناتي أن تخبرنني بكل ما حدث،

وبالتفصيل...

ردت ابنتي الصغيرة «غاردينيا»:

-فلتسرح قليلاً وسنتحدث لاحقاً.

نظرت بطريقتي المعتادة إليهن ففهمن بأنني أريد تفاصيل كل ما حدث. جلست ياسمين على الكرسي وملاّت صدرها بالهواء النقي وقالت وهي تعصر غمامة الدمع من عينيها:

-لقد انهارت المدينة بأكملها، و... وإمبراطوريتك

العظمى أيضاً، الفيلا والشركة بأكملها، ونحن هنا منذ أسبوعين، كما أنك في الغيبوبة منذ ذلك الوقت.

قذفت جملةً بغضب:

-وماذا بعد..؟

أكملت حديثها بعد أن دملت الدموع بالمنديل..
-دولتنا بدأت بتعمير المدينة وقد يستمر ذلك عاماً،
لهذا استأجرنا بيتاً مفروضاً لنسكن فيه، ودفعنا
مصارييف المشفى، ولم يتبقَ لدينا من المال إلا القليل
والذي لا يكفي لشهر.

غيرت ملامحي بهدوءٍ وقلت:

-لا مشكلة، سأخرج من هنا وأعمل ريثما نعود إلى
المدينة.

رغبت بتحريك يدي، دفعت الفكرة من عقلي إلى
الأعصاب، أشبعت الرغبة قوةً، ولكن دون جدوى!
كررت العملية بقوة أكبر من ذي قبل، ولم أستطع،
قلت لنفسي «اليد تريد طاقة كبيرة». رغبت بتحريك
إصبع فقط، حاولت مراراً وتكراراً ولكن محاولاتي
كلها باءت بالفشل. وبينما كنت أشحن طاقتي لتكرار
العلمية قالت ابنتي الكبيرة «ياسمين»..

-أبي، هناك شيء آخر يجب أن تعرفه.

حركت رأسي استفهاماً، فقالت:

-سأنادي الدكتور.

خرجت من الغرفة وتركتني أتصارع مع الفضول في

حلبة الاستفهام.. كم هو ثقيل الوقت على الزمن حين يتعلق الانتظار بالمصير، ولكن لا يعقل أن أعجز عن تحريك جسدي بسبب زلزال! ذهبت لحظات ثقيلة إلى التيه وعادت ابنتي مع الدكتور وقبل أن ألقى التحية طرقت الإشارة بجدران الفراغ..

-ماذا بي يا دكتور؟

-استرح الآن وسنتحدث لاحقاً يا سيد «غير».

صمتت للحظة فبان عليّ جدية السؤال. نظر إلي باستغراب، وطلب من بناتي مغادرة الغرفة، ففعلن ذلك. جلس على الكرسي وتحدث بجدية:

-حسناً، الزلزال كان قوياً ولكن لحسن حظك أنك سقطت من ثلاثة طوابق فقط وإلا لكنت الآن ميتاً. لقد أجرينا لك عملية استغرقتنا فيها يوماً ونصف، كانت العملية ناجحة لتظل واعياً ولكن...

صمت لبرهة وأكمل قوله:

-ولكن هناك شيء يصعب تصديقه ويجب أن تعرفه، وهو أنك ستبقى مشلولاً طوال عمرك الباقي..

لمع الدمع في عيوني، تخدر وعيي في التفكير، هدم جبروتي وسلطتي ومملكتي وقوتي، قلت للدكتور:

-أغلق الباب خلفك ولا تدع أحداً يدخل حتى الغد.

خرج، بقيت على السرير، وهل يمكنني أن غادره! عادت اللحظات السابقة تدور في دائرة الفكر واحدة تلو الأخرى، نظرت لملاميحي في مرآة الذات، رأيتني أتساقط أوراقاً بخريف العجز، رأيتني عاجزاً عن الحياة وعن أي شيء، أهذا مصيري؟ ولكن، ولكن دون لكن، فأنا أستحق هذا المصير، أستحق سحراً بالعجز، أستحق الموت حياً والهلاك والنفي إنسانياً.. فكم كنت وضيعاً وحقيراً وسفياً! أستحق كل الصفات السيئة، ولكن ما ذنب بناتي ليقعن معي في تيه العجز؟! ماذا فعلن في حياتهن غير الدراسة فقط، ما ذنبهن ليصبحن أيتاماً في أول عمرهن! ولربما حدث هذا الزلزال لأنتي كنت موجوداً في المدينة، وهل من أحدٍ آخر يملك كل الصفات السيئة غيري؟! فأنا الذي كنت أهين الجميع، وأنا الذي كنت أجعل الفقراء يشعرون بكرههم للحياة بأكملها في بضع لحظات فقط، أنا الذي كنت أشترك في هدم حقوق النساء، وأنا الذي كنت أمزق الإنسانية على عتبة المتعة، وأنا الذي أكلت أموالاً كثيرة من كثيرٍ من الموظفين. أنا كنت شيطان المدينة الذي حرف الكثير من النفوس، لهذا أستحق

أوربما أكثر، ولكن لا يمكنني تصور الاستشاق
وجسدي عاجزٌ كلياً عن الحركة، كيف سأعيش وأنا
عاجزٌ عن تحريك إصبع!

يا الله.. يا رب الشيطان، لقد تاب الشيطان فاغفر له
يا الله... نحن الشياطين البشرية، نحن الذين خدمنا الشر
أكثر من الشيطان نفسه، وها أنا من هؤلاء الشياطين
على باب التوبة فاغفر لي، ولن أكرهك إن لم تغفر لي
فأفعالي لا يمحوها الغفران والتوبة، ولكن أترجاك يا
ربي أن تحمي بناتي من الشر فهن لا يشبهنني.

أغمضت عيوني طالباً النوم فعادت إلي فكرة العجز
و كأنها تقول لي:

«أنا أنت، أنا سأبقى صديقك الدائم، سأجعلك تعلق
حذائي»

كم أن العجز قويّ! يهدم كل شيء في غضون
لحظات ويلتصق بجدران النفس كسديم صلب دائم
أو كجسدٍ يقيد الروح من الطيران والتأمل، كم أنه
غريب الأطوار، فهذه المرة الأولى التي أرى أنه يحضن
شيطاناً، كان دائماً هاوٍ لصدور الفقراء! لم أكن أتوقع
كل هذا التغيير بي، لم أتوقع سيطرة العجز علي بلحظة
كنت فيها سيّداً لعرش. كيف توضحت رؤيتي تجاه

كل ما يشعر به الفقراء؟ لقد فعلت أشياء سيئة للفقراء
وها أنا الآن أشعر بكل ما كانوا يشعرون به. كيف
تحملوا كل هذه المشاعر الثقيلة وكيف سأتحمل ثقل
المشاعر التي جعلتهم يشعرون بها مع هذا العجز اللعين؟
كيف كنت؟!

* * *

ذهبت أياماً ثقيلة على الزمن وحن الوقت لأخرج من
المشفى لنسكن في البيت الذي استأجرته ابنتي
الكبرى. حملني الممرضون ووضعوني على الكرسي
المتحرك، الذي سيصبح صديقاً أبدياً لي. دفعتني ابنتي
الصغيرة «غاردينيا» لنخرج من المشفى وأنا أزداد كرهاً
لي، أزداد شعوراً بأنني حمل ثقيل على بناتي. وصلنا
إلى البيت، كان في منطقة تشبه القرية لبعده البيوت
عن بعضها، البيت يشبه من الخارج البيوت المسكونة
بالمشاكل، ومن الداخل، يشبه بيوت الفراعنة وجدرانها
العفراء بالتراب، أبواب غرفها مهترئة، تفتقر لضوء
الشمس، وسقفها متهالك. حملني بناتي ووضعني على
سريري الجديد الغير مريح في غرفة صغيرة. قالت ابنتي
الكبيرة لأختيها «أخرجنا من الغرفة»، وبدأت بوضع
الحفاض لي بعد أن وضعت خرطوم التبول بعضوي، وهي

تقول لي:

-لا تخجل مني يا أبي فأنا ابنتك.

انتهت من عملها ونادت أختيها لنتحدث في موضوع العيش. دخلت «غاردينيا» و «رولا» وهما ترسمان ابتسامةً كاذبة، فتحت ياسمين باب الموضوع وهي تضع كوب الماء على شفتي السفلى..

-هذه المدينة لا تفتح المجال للعمل دون هوية، وهوياتنا الآن تحت ركام الفيلا، فماذا سنفعل لنعيش حتى نعود لمدينتنا؟ وكما أن إيجار البيت سينتهي بعد عشرة أيام والمال الذي معي لا يكفي لسدّ نفقات الطعام والماء والكهرباء، فماذا تقترح؟

فكرت مستغرماً بضع دقائق فلم أجد حلاً، فقلت

بعجز:

-لا أعلم، ولكن فلتبحثن عن أي عمل لا يحتاج لهوية،
لربما تجدنه.

قالت رولا بحزن:

-لقد بحثنا منذ وصولنا ولم نجد أي عمل.

ردت ياسمين وهي تكسر الماضي بأكمله بمطرقة

العجز:

-لا حلَّ غير التسول!

أصابتني رعشةٌ قويةٌ بهذه الفكرة، كيف تتسول
بناتي اللاتي كن يملكن ثروةً لا تأكلها النيران، لم
أقل شيئاً فقالت رولا عوضاً عني:

-غداً سنخرج للناس مفتوحات الأيدي.

وخرجن من غرفتي وهن يأكلن خيال الأطعمة والغنى
والرفاهية بشراسة.

مرّت أربع وعشرون ساعة، عادت بناتي من الشوارع
وهن يحملن يأساً في قلوبهن الرقيقة، دخلن غرفتي
ليحكين مجدداً موضوع ليلة البارحة.

صرخت ياسمين باللعنات بعد أن غسلت وجهها من
غبار الشوارع..

-ألف تباً للحياة، منذ الصباح وحتى الآن لم يعطينا أحدٌ
شيئاً، هذه المدينة لسوء حظنا فقيرة لدرجة لا تصدق،
فماذا نفعل يا أبي؟

لم أحك، فأنا العاجز عن كل شيء، مرت دقائق
صمت وكلنا نبحث بأدمغتنا عن أي حل ولكن دون
جدوى.. قفزت رولا قائلةً:

-هناك شخصٌ من مدينتنا وهو الآن جارنا، فلنسأله

عن حلٍ، لربما يكون خيطاً لحلٍ ما.
 قلت لها وأنا أحضن هذا الأمل بكل قواي الروحية:
 - اذهبي إليه، وادعيه للضيافة.

خرجت من البيت وطرقت باب بيته وكلنا نسمع
 دقاتها اللطيفة. بيته كان مقابلاً لبيتنا تماماً. مرت
 دقائق معدودة، أتت رولا بهذا الجار الغريب الذي كان
 وجهه منقوشاً بالتجاعيد وعيونه سوداء ناعسة، رأسه
 من الأمام أصلع ومن الخلف هنالك القليل من الشعيرات
 باقية. هيكله غريب بعض الشيء، فظهره كان مقوساً
 وعنقه كان قصيراً ووجهه أصفراً كلون الليمون
 ونحياً كساق شجرة دون أغصان وأوراق، يشبه كائناً
 فضائياً بشكله هذا. دخل وخلع نعليه، ألقى التحية
 فنطقت التحية، جلس بعيداً عني، لاحظت عليه الكبت
 الجنسي من كثرة قراءته لتفاصيل بناتي بالنظر، قطعت
 عليه القراءة فجأة فنظر إليّ بطريقة مقرفة..

- كيف حالك يا جار؟

رد علي بعد أن أطرق النظر مرة أخرى لابنتي ياسمين
 وهي خارجة من الغرفة..

- أنا بخير، وأنت كيف حالك؟

-أنا كما تشاهدني، عاجزٌ عن أي شيء بعد أن كنت
قادرًا على كل شيء!

رد عليّ بطريقة استفزازية..

-لست الوحيد العاجز، فأنا أيضًا سأكون مثلك بعد
أن ينتهي المال الذي ادخرته من مدينتنا.

تعمّق مرة أخرى في تفاصيل بناتي، أزعجني جدًّا
ولكن لا يمكنني طرده فهو الأمل الوحيد الذي تعلقنا
بجباله. قلت له داخلًا في الموضوع الأساسي..

-يا جاري، كما ترى، فماذا تقترح علينا، فإن صنعت
لنا زورق النجاة فأنا أعدك بسفينة مال حين نعود لديارنا
معًا.

غرق في أفكاره لدقائق ومن ملامحه المرسومة
لاحظت عليه خبثه، قال بابتسامةٍ غريبة..

-يا جار الحلول جميعها غير نافعة، ولكن...

غرق مرة أخرى في أفكاره وعالمه الخاص فأخرجته
بصوتٍ قاسٍ

-ولكن ماذا يا جار؟

رد عليّ وهو يأخذ فنجان القهوة من يد ياسمين وينظر
كأسدٍ مفترسٍ لشفاهها:

-ولكن هناك حلٌ واحد، وهو حلٌ قذرٌ جداً جداً، ولا خيار لك غيره.

علمت من طريقة تحدثه أنه يخبث في كل شيء، فقلت بصوتٍ خافت:

-ما هذا الحل؟

قال لي هذا الخبيث:

-الحل أن تفتح منزل دعارة لبناتك هنا.

هاج بركان غضبي وانفجر بقوة ألف بركان

-أيها القذر اخرج من هنا.. هيا، هيا!

قام يخرج وهو يبتسم بغضوية تامة وقال بعد أن ضحك

بصوتٍ عالٍ..

-يا جار، لا خيار آخر، فإن وافقت فأنا سأجلب لك

الرجال، هكذا ستعيش.

نفخت الدخان ولعنت كل شيء فهذا ليس بحلٍ أبداً

فكيف أدنس طهارة بناتي بقبح الرجال ووحشيتهم،

هؤلاء بناتي اللاتي خلُقن من الطهارة والجمال والروح..

كيفما كان الوضع صعباً لا يمكنني جعلهن أدوات

تفريغ لقدارة الرجال، من هذا اللعين؟! أه لو أمكنني

التحرك من مكاني لكسرت حنكه وفرمت جلده

وقطعت أصابعه، أهٍ لو لم أكن عاجزاً، أهٍ لو كنت غير عاهر في حياتي، أهٍ لو كنت إنساناً.. ولكن ماذا سيفعل الندم بعد أن هدم كل شيء، ماذا سيفعل الندم الأخرس في كهوف العجز، وماذا سأفعل وحدي وحتى دوني في هذه الشبكة الملتصقة بالحياة، أي حياةٍ هذه التي قد تُجاوزنا الإنسانية والوجدان والضمير، أي حياةٍ ستتقبلنا ونحن ضفادعٌ تصدر النقيق فقط؟! وما الموت إلا عاجزٌ أيضاً عن تبرير أفعالنا القذرة و المتوحشة. ما ذنب الأبرياء من عهرنا، ما ذنب بناتي ليقعن في فخاخ عقولنا الحادة، ما ذنبهن ليسبحن في المستنقعات.

ذهبتُ أيامٌ وبدأ الوضع يتفاقم سوءاً، المال نفذ كلياً، ولم يبقَ في البيت حتى خبزاً يابساً. صرت أسمع زقزقة عصافير بطون بناتي الطاهرات العذارى، وهن يشعرن باليأس أكثر فأكثر، وأنا العاجز عن أي شيء أحرق خديّ بماء عيوني السائلة كالشلال. مالك البيت نبهنا باقتراب زمن الإيجار لندفع أو نرمى في الشارع، والجار اللعين لا يعطينا حتى رغيف خبز، كي نقبل بحله القدر. دقائق وساعات في الجحيم، أن ترى أولادك يموتون جوعاً وأنت غير قادرٍ على فعل شيءٍ لهم. وما يعرّي الحياة أكثر أنني أزعجهن وأتعبهن معي بغسلي ووضع الطعام

والماء في فمي وتغيير ثيابي وتغيير حفاصي وتمشيط شعري وحتى دمل دموعي ذات الفصل الشتوي، فهي تفيض من جبال الحزن وغيوم العجز على حدود الحياة، فما هي الطريقة للخروج من حفرة الفقر و العوز؟

بينما كنت أراقب الذبابة التي تطير لبرهة وتعود لتستقرّ على أنفي أو جبيني، أحرّك رأسي لتطير وتعود مرة أخرى. دخلت ياسمين غرفتي وهي تصيح..

-غاردينيا في غيبوبة الجوع، وقد تموت، فماذا نفعل يا أبي؟

حملقت في وجهها البائس وأنا صامتٌ بضجيج مشاعري البركانية في داخلي، والسؤال الذي يحقن سمه في قلبي وهو «ماذا أفعل؟»، رفعت ياسمين من نبرة صوتها وصقلته بالقسوة:

-ماذا نفعل يا رجل، ابنتك تموت وتموت، لا تكن صامتاً هكذا!

عاد الدمع المثلج على قلبي بالفيضان بغزارة، وكل حركات روحي بدأت هي أيضاً بالتخدر، بالشلل. قالت ياسمين وهي تدمع وتدمع وتلعن الإنسان بدمعها،

وتخبر السماء بعجزها وتهز عرش الآلهة بحزنها وتفجر
القرن والحياة بياسها..

-لا خيار آخر يا أبي.

قالت و النحيب صوت بوق القيامة.

قلت بصعوبة و بصوتٍ منتحب..

-لا!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!

خرجت من الغرفة بعد أن أغلقت الباب بقسوة وأنا
لازلت أردد (لا) بصوتٍ منتحب لا يسمعه الصدى، ولا
تسمعه الإنسانية، ولا يسمعه الوجدان، ولا تسمعه أذن
الكون ولا تسمعه الكواكب. مرّت لحظاتٌ فدخلت
رولا الغرفة وهي تبكي وتقول بصوتٍ يكاد يسمع..

-لقد فقدت ياسمين عذريتها وأنا أيضاً فقدت عذريتي.
كان الخبر كالمصاعقة، كان الوقت ثقيلاً كوزن
العجز، كان الزمن كالسكين، كان الفكر
كالهواء، كان الهواء كالسم، كان السم كالماء،
كان الماء من الجحيم، كان الجحيم مقبرة، كانت
المقبرة صامته بضجيج الآهات، كانت الآهات تتبخر
نحو السماء، كانت السماء ترجف خجلاً من البشر،
كان البشر أسوأ الكائنات، كانت الكائنات تختبئ

من صدى البوق، كان البوق صوت قيامة حياتنا وخيالنا
 وآماننا ومستقبلنا وماضينا وحاضرنا. زلزلني الخبر
 وكسرني لقطع صغيرة كقطع المرايا، لم أتحدث ولم
 أفكر ولم أتخيل ولم أفعل شيئاً ولم أجدني ولم أجد شيئاً.
 عبرت ممرات العدم وأنا أحمل اللاشيء لأصل إلى
 اللامكان كي لا أفعل شيئاً بعد أن تركتني على
 السرير، بعد أن فرمت كل شيء بأسنان اللاشعور، بعد
 أن وضعت القيح في رؤية الحياة بعجزي، بعد أن مزقت
 بكاره بناتي بلا إرادتي، بعد أن وضعت سرطاناً في
 قلوبهن، بعد أن رميت القدرة في مستنقع المستحيل،
 بعد أن ضغطت عليّ المستحيل بكل قوته، بقيت في
 غيبوبة الصدمة لصباح اليوم التالي، الذي طلعت شمسُه
 حارقةً تذيب وجداني ببطء..

دخل الجار غرفتي وهو يتسم سعادةً، قال لي بحقارة
 -مبارك يا جار، من اليوم سيمكنك العيش بسلام.

جلس بعد أن لمس بيده ثدي ابنتي ياسمين، وهي
 حافظت على هدوئها وكما حافظت أنا الآخر على
 هدوئي، وكأنها ليست ابنتي. عاد ليتحدث بسفاهة:

-خذي هذا الجهاز يا امرأة، وشاهدي وتعلمي أنت

وأختك لقطات ووضعيات الجنس من الأفلام الإباحية ،
وخذي هذا المال لتشتري الطعام للجميع.

أخذته وخرجت وبدأ اللعين يخنقني بقيحه..

-بما أنني سأجلب لك الرجال فأنا سأخذ نصف المال
الذي تجنيه ابنتاك.

لم أكن موجوداً ولم أكن مدركاً من قسوة إدراك
ما يحدث في هذه الدائرة التي نصنعها نحن البشر لغيرنا
كي نتمتع بالوهم ونرفع جبيننا عالياً كبرج لا يرى
بالرؤية ، فمن هو الكائن الذي سيتجاوز وحشية الإنسان
لأخيه الإنسان؟ والأكثر وحشيةً هو أن الآخر يعتاد على
العبودية والذل كأنه آلة منظمة لتقبل جميع الكدمات
دون أن تتكسر ، ليحب الكدمات ويتلذذ بها وقد يحارب
من أجل المبادئ التي بنيت على سطح الخنوع.

مرت نصف ساعة وهو يضع قوانينه على ظهر الحالة ،
قام وهو يقول بشراهة الشهوة..

-سأذهب لأعلم ابنتيك كيف يمكنهما إمتاع الرجال.
خرج من غرفتي نحو الغرفة الأخرى بخطوات طويلة.
مرت خمس دقائق وبدأت أسمع صوت آهات ابنتي
ياسمين الممزوج بصوت أنين السرير تحتها ، وبصوت

أنفاسه الشهوانية البركانية. كدت أنفجر بالمدينة
أكملها، أو ربما بالكون أكمله، ولكن من شدة
حرارة ناري على مملكة خلجاتي لم أنطق حرفاً، حتى
لم أغير نظرتي من النقطة التي كانت في السقف، حتى
استطعت لبضع لحظات التفكير في العدم، أنا كلي
جمادٌ صنع ليكون جماداً! عاد الصوت يرتفع أكثر
ولكن هذه المرة صوت ابنتي هو الأقوى حدةً، كصوت
تمزق الوجدان والضمير، كصوت قنبلة نووية استقرت
في قلب الوطن، كصوت باخرة تغرق في الصحراء،
كصوت صراخ الإنسانية في مشهد الجريمة، كصوت
القيامة، كصوت اصطدام الماء بالنار. كادت تفيق
ابنتي الصغيرة النائمة بجانبني، ولكن من الجيد أن
نومها عميق فهذا الصوت سنسمعه كل يوم، وكل
ليلة، وكل حياتنا.. سيئن هذا الصوت داخل دماغنا،
قد نسمعه في أحلامنا و كوابيسنا، سنعتاد، سنتعري
من جميع الصفات النبيلة، قد نبتسم بعد كل هذا،
من يعلم، فنحن من البشر، والبشر يدمنون كل شيء،
والعجز يكسّر جميع قلاع الجنون والإدراك، فمن هو
الإنسان دون إدراك؟!

مرّت نصف ساعة أخرى، انقطع صوت ابنتي ياسمين،

ولكن بعد برهة صدر صوتٌ آخر بالكاد يُسمع، إلا أنه ارتفع قليلاً إلى الوضوح، إنه صوت ابنتي الأخرى، رولا، صوتها الناعم الذي يبان في آهاتها الرقيقة بدأ يتغير تدريجياً لصوتٍ كصوت احتكاك الأظافر بالجدار، بدأ يعلو ويعلو إلى أفق البعد، محطماً جميع الحواجز الصوتية، كصوت الطاقة الكهرومغناطيسية وهي تلتصق بأعصاب وبخلايا الإنسان دون إدراك. استفرغت ابنتي رولا، سمعت، أدركت لاشعورياً، سمعت صوت صفعات، أدركت، تخيلت مشهد وجهها وهي تتعرض للصفعات، وهي تمسك النحيب كي لا يفلت ويألم جميع ندياتنا، وهي تحافظ على الضمير بالسِر، تعنتي بإنسانيتها دون علمنا، تحب أنها وذاتها العليا، هي هي. مرّت دقائق أخرى وأنا أسمع صوت أقدامهم تقصد الحمام. الحمام كان مقابلَ غرفتي، لم أنظر إليهم، أغمضت عينيّ خشية اصطدامهما بعيون ابنتي. بعد أن أغلقوا الباب، فتحت عينيّ، وشاهدت مشهداً آخرًا من زجاج الباب، لكنه غير فصيح جداً، مشهد تغسيل بناتي لهذا الشيطان، ثانيةً، ثانيةً والمشهد يزداد قوة. توقف الزمن، رأيت ابنتي يغسلن جسمه الغريب كله، مقطّعاً مقطّعاً، مكاناً مكاناً، وهو يمسك بجديلة

ياسمين بيده اليمنى وجديلة رولا بيده اليسرى، ولسانه خارج فمه كثعبان كوبرا، يحرك رأسه يميناً وشمالاً كأنه يتلذذ وهو يأكل فاكهة المتعة. رأيت المشهد بأكمله بالظلال الخالية من الألوان والأشكال. خرجوا من الحمام وذهب الشيطان إلى بيته وهو يندن، ولكن المشهد ظل يتكرر أمامي حتى فجر اليوم الثاني، اليوم الذي طلع به فجرنا من الغرب، اليوم الذي شرع بتشريح مشاعرنا إلى قطع جامدة، اليوم الذي يردّد نشيد القبح، اليوم الذي تحول فيه بيتنا إلى بيت دعارة وابتناي إلى عاهرتين بجسديهما (ولكن ستبقيان طاهرتين بروحيهما). في ذلك اليوم زارنا أكثر من ثلاثين رجل من مختلف الأعمار والأشكال، كلهم كانوا معبئين بالشهوة والتعصب. ومع الأيام صار العدد يزداد ويزداد إلى أن وصل إلى مئة رجل، كلهم يأتون ليزيدوا ثقل الهواء في رئتي، كلهم كنت مثلهم! يدخلون بقوة ويخرجون بضعف، أسمع آهات وصرخات ابنتي وهما تُغتصبان بالعجز وبالذل وبالفقر، وفي آخر المساء وبعد رحيل جميع الكائنات الشهوانية أسمع صوت بكائهما الخارج من ريش المخدات، الذي كان يرج الوعي بقسوة، كانتا تبكيان لساعاتٍ وأحياناً حتى مطلع الفجر، تبكيان وأنا

أبكي وأتمزق. أما هذا الجار الشيطاني الذي كان وجهه لعنةً أمام مرآيا حياتنا ، يكون دائماً مع الرجال ليضمن حقه من المال ، ينتظر ويجلس بغرفتي ويزعجني بفحيحه حتى ينتهي الرجال من متعتهم ، ويأتي لوحده كل ثلاث أيام ليتمتع وهو يغتصب ، ويرغم إحدى بناتي على غسله ، ويرحل بعد أن يرمي إليّ بجملة قدرة. بعد أن كثر عدد الرجال أصبح يأخذ ثلث المال ليضمن استمرارية عمله. بناتي كما أعرفهن بسيطات وخائفات من دوني ، فمئذ فقدان ياسمين عذريتها لم تتحدث معي ولم أتحدث معها ، حتى لم تلتق عيوننا ببعضها ، تأتي كل يوم وتغير حفاضي وتفعل كل ما يجب فعله لي وتذهب إلى غرفتها وكأننا لا نعرف بعضنا أو أنا جدار يُغسل أو أنها جسد دون مشاعر. أما رولا فتغيرت كلياً من سديم رقيق إلى جدار صلب ، أصبحت عصبية بشدة ، تنزعج من أي شيء أو حتى من لا شيء ، و حين تفيق تجيء وتقبلني (برغبة أم بقهر ، لا أعلم) وحين تريد النوم تقول لي:

-أتمنى أن يكون الغد لا يشبه اليوم أبداً.

أما غاردينيا فأدركت بما يحدث بعد أيام من البدء ، لكنها ترغم نفسها على النوم كي لا تسمع صرخات وتهدات أختيها ، تمام على أرض غرفتي كمزهريّة

تحب الشمس. أصبحت أتجاهلها أحياناً لكثرة أسئلتها الحادة حول ما حدث وما يحدث وسيحدث وماذا حدث لو تغيرت كل هذه الأحداث ولم ومن المذنب وماذا والكثير من الأسئلة التي تتيح للعجز بأن يعجن دماغي ومشاعري بأسنانه الزمنية. هي أيضاً باتت تلعن الحياة بفلسفة الحقيقة. كادت لمرات أن تخرج من الغرفة لتضرب الرجال الذين يفتصبون أختيها، ولكن قواها كانت تتقلص بالإدراك، هي تملك مفتاح الخيال، تعود بخيالها إلى الماضي والحياة والديار فترجع والدمع يحرق خديها بصمت. دموعها لازالت بعطر الطفولة، هي تخاف الصدى، وتخاف الخوف والإنسان والعجز والفقر وال فراغ. هي شغوفة بالحنين، تحب الحياة، ولكن كيف سأجلب لها الحياة؟

مرت الثواني والدقائق والساعات والشهور كزمن عمر بأكمله، أصبح اسمنا القبيح دارجاً في المنطقة بأكملها والجار رفح نسبة أرياحه أكثر فالرجال تضاعفوا بقدرة عجيبة ومن رائحة شهواتهم القبيحة أخبئ ابنتي غاردينيا تحت السرير إلى أن يرحلوا. وفي الفترة الأخيرة لاحظت تغيرات غريبة لابنتي ياسمين، حرارتها دائماً مرتفعة وحينما تنهض من مكانها كانت تشكو من الصداع،

وأحياناً تركض للحمام من شعورها بالغثيان، وجهها يوضح التعب الشديد، ودائماً تسعل وتسعل احتراقاً من حنجرتها.

شككت بمرض الإيدز الفيروسي، إلى أن أتت إليّ لتحدثني بعد انقطاع شهور. دخلت الغرفة وهي تبكي دمعاً ساخناً، احتضنتني بلهفة بالغة وهي تحكي، لكن صوت البكاء يقطع كلماتها إلى تفعيلات غير موزونة، وكانت كلمة (أبي) تتكرر مراراً وتكراراً وحنناً وقهراً وعجزاً وحباً ولقاءً وشوقاً وحنيناً، ناديت الحب بقوة..

-ابنتي الطاهرة النقية الصالحة، لازال حبك يجري ويركض بحب في شراييني.
هدأ قلبها الرقيق وقالت:
-لقد تعبت يا أبي، لقد تعبت.

لم أتحدث، عدت إلى حالتي السابقة، عاد مورفين العجز يشنق خلاياي الحسية، ثم شرعت تقول بحزن عميق..

-أنا لست آلة تفريغ..

أنا لست فتحة مهبل فقط..

أنا لست فريسة للضباع..

أنا لست كرة قدم..

أنا لست عجيباً يتحرك كيفما كانت رغبتهم...

أنا لست تفاحة تقضم دون أن تغسل بطهارة الحرية...

أنا لم أسأل عن رغبتى بتكوين فتحة لي.. أنا لم أعتقد

أن الإرادة ستسرق..

أنا لم أظن أن الحرية وهم للفقراء والعاجزين....

أنا أنصهر بشعوري بالفقراء والأبرياء...

أنا أريد عالماً مسالماً لجميع الإنسانيين..

أنا أريد الإرادة..

أنا أريد (الأنا)...

إنني أسلك طريقاً لم اختره بنفسى ولا أستطيع العودة

منه..

أنا عاجزة...

أنا أتفتت بقسوة، يا أباي!

باحث وأخرجت كل الأشواك التي تجرح قلبها إلى

أن انزلقت بمشاعرها لتبكي بشكل هستيري، شلّ

بكاؤها ما تبقى منى، حاولت وحاولت وحاولت أن

أحكي أو أن أهدئها ولكن كان التعبير محالاً وأوتار

النطق مقطوعة ، لكنني نطقت بأوتار اللاوعي أوكتافاً
واحداً فقط..

-ابنتي العزيزة..

توقفتُ ، أخرجت ياسمين روحها من غياهب اللاوعي
لتحكي ما لم تبح به بعد..

-أنا مريضة يا أبي....

مفاجأةً أعادت جميع خلاياي الحسية للعمل المستمر
المرهق ، وجهي فلك الملامح بلون الصفار ، فتح فاهي
كفي الحمار ، توسعت حدقتي ، توقف كل شعر جسمي
بقشعريرة الوعي ، الغيوم المخبئة في شبكة الرؤية
عصرت نفسها لتغمر خديّ دمعاً ومطرًا مالحًا. لاحظت
تحرك سبابتي بحركة بسيطة. ثم عادت تكمل طلاس
البوح..

-وداعاً يا أبي ، سأذهب لأعيش ما تبقى من حياتي...

احتضنتني وقبلتني أكثر من قبله ، خرجت من الغرفة
نحو غرفتها المبتلة بالدمع و اللعاب. بعد لحظات سمعت
صوت بكاء بناتي بصوت واحد ، سمعت أيضاً صوت
الهواء المبتعد عن الأيدي وهي تدور حول الأعناق ،
سمعت أيضاً نغمة التقبيل المستمر على إيقاع الحب ،

وأخر ما سمعته صوت تلويحة يد تبتعد ببطء شديد إلى أن اختفت في غياهب الموجات. في تلك اللحظات كان هنالك ما يحدث بي.. شعوران كانا يتصارعان في حلبة العجز، الأول كان يقول «فلتعد»، أما الثاني كان يقول «فلتذهب لتعيش»، كنت بينهما حائراً، لا أعلم أيهما على حق! هي ابنتي بكل معاني هذه الكلمة، وأنا أحبها بكل طرق الحب، ولكنني ظلمتها بعجزي، كما أنني لا أريدها أن تتعب معي، فليكن ما تريد، أما الجمهور كانوا جميعاً يرددون «هي مريضة، هي مريضة، هي مريضة... إلخ» أي أنها ستموت! أيعقل؟! اللامعقول أخذ حيزاً واسعاً من الفكر، الأفكار تتخبط بشكل معقد أكثر مما هو منحرف عن سياق الصواب. أخيراً، وبعد عشرة ساعات، ربطت المشهد بفكرة اصطنعها المرض لتهرب، ربما، فليكن، غفرت لها، وسأحبها حتى آخر نفس لي، ولكنني سأشتاق إليها و إلى ابتسامتها و عيونها وكلماتها وصفاتها وحركاتها وألفاظها ومعانيها وتعبيرها وعبيرها وحبها وذاتها وخيالها وخيرها وشرها وحتى إلى دموعها! سأشتاق إليها بكل ما تبقى بي من مشاعر، ستبقى ابنة طاهرة لي، ستبقى الجزء الطاهر مني!

عاد الفجر للخروج إلى الرؤية، دخل الجار بيتنا
وهو يتفقد المكان، أدرك عدم وجود ياسمين بعد أن
بحث في كل مكان بالبيت حتى تحت سريري و تحت
مخدتي، صاح بجنون:

- أين ذهبت....؟؟؟

ربطت أوتار نطقي وقلت له:

-هي في قلبي أيها اللعين.

جن جنونه دار حول نفسه مرتين كالمتصوف، وإذ به
يقصدني بغضب! رفعني وتركني، علاني وأسقطني،
أخذني وأبعدني، مسك بي في الهواء وضربني بالسريير.
قلت بابتسامة كاذبة:

-أنسيت بآني مشلول؟!

جن أكثر فذهب للغرفة الأخرى وأتى بابنتي رولا
وهو يشد شعرها بقسوة، اقترب بفمه الكريه من أذني
وهمس:

-سأجعلكم تندمون لأنكم لم

تخبروني..

أقلقني قوله، فمن الوحش كل شيء يُصدق! راقبت
أدق تفاصيل ملامحه كانت هنالك رغبة سوداء تلمع

بقسوة من عمق عينه الثالثة. جلس بجانب سريري،
 وشرع بخلع جواربه العفنة من أقدامه المقرفة ليهلك
 الهواء برائحته القبيحة، وصاح بوجه ابنتي رولا «مصي
 أصابع أقدامي». نظرت إليّ رولا بنظرات العجز التي
 تكسّر جليد اللامبالاة واللاشعور، التي تكسر عمود
 الإرادة والحريّة. صفع الشيطان خدها الأبيض وبصق
 بوجهها وهو يصيح بها «هيا يا حقيرة، هيا وإلا قتلت هذا
 المشلول». انتظرت رولا النجاة لبرهة، انتظرت الخلاص
 بلهفة، انتظرتني كي أنهض أو أكسر حنك الزمكان
 بقبضتي، ولكن....

قبلت رولا بالحال كما هو، حضرت قبوراً لمشاعرنا
 في أرض الذل وهي مغسولة العقل والرؤية والإرادة والقوة.
 شرعت تمصّ أصابعه المقرفة وصوت تكسر جبال
 مشاعرها تلعن الصدى وتلعن اللعنة والزمن والمكان
 وتلعن الحال وتلعن الجار والدار والغبار والضوء والمادة
 والرياح والاتجاهات والفصول. إنها تقرأ طلاسّم الدمار،
 تُسقط الأرض في دوامة اللامكان. إنها تحرف المسار
 وتفخّخ الأبعاد بالذل، تخدر الملائكة بالزجاج المنصهر..
 تحوت وراع وآمون وزيوس وبوذا وأفرودايت والنترو
 وسخمت وإيزيس وأنوبيس، أيبس، أمنحوتب، بتاح،

إسكليبوس، باخوس، هيرا، كيوبيد، أطلس،
آرتميس.. كلهم كلهم من اللامكان شعروا بقشعريرة!!!
ابنتي غاردينيا رجفت ورجفت ووقعت في دوامة الغيبوبة
من مكانها. إلا العجز صمدا!

أخذت تفعل له ما طلب بالغضب والإجبار، وهو
يتمتع ويتلذذ بإذلالنا وكسرنا. زالت رغبته في الظلام
فقام بركل رأس ابنتي ورحل. غرفتي تهشمت بالبكاء
والعويل، الذل يمسك الهواء بقبضته، والفقر في زاوية
الغرفة يبوح بنا للأرواح المحلقة في السماء، وطيف
ياسمين يتلاشى في دهاليز الضوء الأبيض، ذاهباً إليها
ليروي لها الحدث القاتم. تعبت عيون ابنتي من البوح
فعاد الهدوء يسيطر على الغرفة السوداء. أفاقت غاردينيا
بصفعة ماء من الغيبوبة، نهضت هادئة لتعيد الأمجاد
إلى النور، وأتت تحضنني بصمتٍ صاخبٍ إلى أن نامت
متعبةً من الواقع. رولا ذهبت لغرفتها كي تنام هرباً من
حراشف الواقع الملعون، ولكن عودة الشيطان كانت
سريعةً لدخل الدار ومعه مجموعة من الشباب، سمعتهم
يتحدثون عن الدخول. قال أحدهم:

-إن دخلنا عليها معاً، فكم تريد؟

رد عليه الشيطان بصوتٍ فاضح:

-أريد خمسة أضعاف ما طلبته.

همسوا لبعضهم ووافقوا ، فدخل الشيطان غرفتها
وصاح بها :

-قومي يا عاهرة ، لديك عمل.

وبعد لحظات دخلوا جميعهم إليها ، بدأت أصوات
الصفعات والتهدات والتخبطات ، وكأنهم يفتصبونها
معاً ، وكأنهم يسرقون ابنتي من بعضهم البعض ، ارتفع
صوت رولا عالياً عالياً كصوت جبلٍ جليدي يتكسر ،
أو ربما من نزيفٍ رحمي ، حينذاك كان صوتها أعلى
من جميع أصواتها في الأيام السابقة ، أو ربما سيكون
أعلى من الأيام القادمة!. بعد ساعة تقريباً سمعت صوت
انكسار أرجل السرير تحتها ، أو ربما صوت انكسار
حوضها! لكنهم لم يخرجوا ، إنما ارتفعت قوة شهوتهم ،
كان ملحوظاً من ارتفاع أصواتهم أكثر فأكثر. مرت
ساعةٌ أخرى وفجأةً توقف صوت رولا ، ولكن كانت
أصواتهم مستمرة بالفحيح ، كأنها فقدت وعيها!
وأصواتهم لم تتوقف أبداً ، مرّ على دخولهم ثلاث ساعات ،
ثلاث ساعات بأكملها ، ثلاث ساعات تمزيقاً لجسد
رولا ، خرجوا من الغرفة ضاحكين ، قال أحدهم :

-لقد أكلتها كالأسد...

ردّ الآخر بغيظ:

-نعم لقد مزقنا الفتاة..

بعد أن رحلوا ، لم أسمع أي صوتٍ من غرفة رولا ،
وكأنها ماتت..!

أيقظت غاردينيا لتذهب لغرفتها وتتفقدتها ، قامت
وقصدت غرفتها ، وحينما وصلت إليها صرخت ، صاح
قلبي أيضًا..

-ماذا حدث لها...؟؟؟؟

عادت تقول بحزن:

-رولا مغسولة بالدماء ، جسمها ممزق بالأظافر!
صاح قلبي مرةً أخرى..

-هل ما زالت حية...؟؟؟؟

ردت رولا من غرفتها بصوتٍ يكاد يسمع بالأذن ،
ولكن قلبي سمع..

-أنا بخير أبي.

أخذت غاردينيا الضماد والكحول والمناديل والأدوية
إليها وعادت تقول لي «هي بخير يا أبي ، فلا تخف ،
القليل من الوقت وستستعيد عافيتها». بقيت عندها وهي
تداوي جروحها ، جرحًا جرحًا ، ونامت عندها لليوم الثاني

والثالث والرابع. غاب الجار لأسبوع كامل عنا، كان خائفاً مما حدث لرولا ولكنه كان يراقب منزلنا إلى أن عاد إلينا بعد أن رأى رولا وهي تجلب الطعام من الخارج. دخل المنزل كشمبانزي، نافخاً في صدره هواء السلطة. جلس في غرفتي وقال بقرف:

-يوم الاثنين هناك سيدان ثريان سيأتيان.

لم أفهم ماذا ينوي هذه المرة ولكن كانت تلك البقعة السوداء في عينه الثالثة تلمع أكثر من ذي قبل. وعاد يقول..

-يجب أن نجد بديلاً عن ياسمين.

وجدت لبرهة من الزمن كلامه غريباً لكن حين تذكرت ابنتي الصغيرة غاردينيا أدركت بماذا يفكر هذا الشيطان، وكانت أمنيته الأكبر هي أن يعمى عن غاردينيا ويقول ويفكر بشيءٍ آخر، ومهما كان. قال لرولا بوقاحة:

-تجهزي وأنا سأجد البديل..

قالت رولا بصوت خائف بعد أن فهمت هي أيضاً بماذا يفكر هذا الشيطان..

-من البديل؟؟؟؟

دنا بنظره نحو غاردينيا التي كانت في حضني وقال لها:

-أنتِ يا جميلة.

فاجأني هذا الشيطان وهدم أكبر آمالي. رجفت غاردينيا من الخوف. قلت له بطريقة مقنعة إلى حد ما:

-هي صغيرة جداً، ستموت وستدخل السجن يا جار! رد علي بابتسامة شيطانية:

-لن تموت، عمرها خمسة عشر.

هزني وخلع عني رجولتي وجبروتي، شرعت أتوسل إليه بكل ذل وخنوع..

-أرجوك يا جاري العزيز لا تفكر في هذا. قال ناهضاً:

-سأذهب لأجلب الإصبع الاصطناعي.

خرج إلى بيته، نظرت أنا وابنتي رولا إلى عيون بعضنا، تفكر في ما يجب فعله قبل أن تتجرف غاردينيا إلى دوامة العهر. قلت لغاردينيا بأن تخبئي تحت سريري، ووثقت الأمنية إلى السماء طالباً من الرب أي حدثٍ آخر غير هذا. مرت دقائق عديدة، عاد الشيطان ومعه تلك الأداة اللعينة، نظر بتمعن وبدقة إلى ملامحنا، ثم نظر

لتفاصيل المكان بحثاً عن غاردينيا ، قلت له محاولاً
تهشيم فكرته الملعونة:

-لقد هربت....

رد علي بدهاء خارق:

-لم تهرب....

أضاع نصف ساعة باحثاً عنها في البيت كله إلى أن
وجدتها تحت سريري ، فشدها من يدها ثم صفعها ثم قال
لها:

-منذ الآن أنت عبدة العمل.

جرّها من شعرها إلى الغرفة الأخرى وهي تصرخ لنا ،
ونحن مقيدون بسلاسل العجز الحديدية. رولا كانت
تقضم أظافرها وأنا كنت ألبس العجز ثوبه الجديد المبلل
بالدم. عادت غاردينيا إلينا وملامحها لا توحى بشيء ،
تبتسم وبعد برهة تعبس ، كانت سجينة الغرابة ، تهبط
سريعاً من قوة الجاذبية ، كانت ليست هي ، غريبة بكل
حركاتها وملامحها ونظراتها. نظرت إلى ساقها ، الدم
الطاهر كان يتدحرج على هاوية اللعنة ، الأرض تحتها
كانت تلعب بدمها المتمرد الساخن ، مشاعرها كانت
تعجن بالقهر. جلست بهدوء بجانب أختها ، والشيطان

عاد وأنياب عهره حمراء بالدم النقي، وقرونه تخترق سدائنا، طبخ عهره بالكلمات ونطق بها..

-رولا، أعدي أختك الصغيرة للغد، فأنا سأدخل بها.
أغلقت رولا جفنيها طاعةً وخوفًا وعجزًا، وبجانبها غاردينيا تفوص في عمق القهر. أصابني شيء جديد، شيء لم أتوقع حدوثه، بدأت أنفجر وأنفجر محاولاً كسر عنق العجز، بعد كل المحاولات اليائسة، محاولة أخرى تحفر نفسها بقوة في حالتي، حركت إصبعي بحركة أقل من بسطة، عادت الإرادة تنهض بعد كل خسائرها السابقة، ولكن... هاجس عجزتي قوي، يتحرك عشوائياً بداخلي، هاجس أقوى من أن يُدمر حتى لو حركت جسدي بأكمله. غاردينيا، تضيع الآن في متاهات البرزخ، خسرت نفسها وحياتها وسعادتها، خسرت معها ما تبقى مني، رؤيتي أصبحت تتقلص ببطء، الأغاني جميعها لم أعد أحس بها، لم أعد أرغب بالتحرك، الحياة أصبحت وجهًا للموت، الموت أصبح سيد محيطي، وسيد عرشي، وسيدي. لقد استسلمت تمامًا للعجز، أنا الآن جثة هامدة بجسدٍ ضعيف وبنفسية مدمرة ودون قلب.. وروحي! أنا لم أملك روحًا من السابق.

مرّ يوم آخر من الجحيم، فقدت شهيتي في الطعام

والماء، بعد محاولات كثيرة من ابنتي رولا، كلها فشلت، استسلمت، أريد أن أتخلص من حواسي الباقية قبل أن يدخل الشيطان على غاردينيا، قبل أن أسمع صوت تمزقها، قبل أن أرى فجر الفجور على ابنتي الصغيرة، قبل شمسٍ أخرى، وصلت إلى أعلى سلم العجز.

جاء هذا الفجر اللعين بكل عهره ولم أمت بعد، جاء الشيطان ودخل وضاجع غاردينيا، صرخت غاردينيا ولم أمت بعد، دخل الشيطان غرفتي وذلني وشلّني ولم أمت بعد، رحلت الشمس ولم أرحل!

«أريد أن أموت».. «اقتلوني».. «ارحموني».. أصبحت أرددها بهلوسة بين ابنتي، لم أتوقف عن نطقها، فحقاً أرغب بالرحيل. غاردينيا كانت صامتة، رولا كانت صاحبة باللغات، لم يستطعن قتلي، لم يقدرن على التفكير بما سيحل بهما بعدي، لازل الأمل جزءاً موجوداً لديهما. كانتا تفكران في شيءٍ ما، كانت الملامح تفضحهما، سمعت همساتهما البسيطة وبعض الكلمات كانت فصيحة وواضحة لي، أدركت أنهما تتويان لشيءٍ ما ولكن ثمة عائقٌ في طريق النية. الفجر بدأ يفك خيوط الظلام على المدينة، خرجت رولا من غرفتي بطريقة غريبة فتبعتها غاردينيا وهي تراقب نظراتي إليها، وبعد

لحظات سمعت خشخشة وهمسات، ثم صوت طقطقات
ثم صوت إغلاق الباب. تكوّن الإدراك ليخبرني بهرب
ابنتيّ دوني، ويخبرني أيضاً أن العائق كان أنا، إلا أنهما
تجاوزتاني. أصبح البيت هادئاً، هادئاً للموت ليقترّب
أكثر من نبضي المثلج بالخفقان البطيء. الأصوات
تلاشت في دهاليز العدم، إلا صوت نبضي، أسمع
يصيح رجاءً من الموت، فلم يأت. مرت الدقائق على كف
الزمن، عطشت، خبرٌ سار يخبرني به جسمي، أسعدني
العطش فهو الطريق الوحيد إلى الموت الجميل، الموت
الرحيم، إلا أن الوقت لم يحن بعد، عادت الأصوات،
صوت وقع أقدام يقترّب من المنزل ومعه صوت جر شيءٍ
باليدي على الأرض. فُتح الباب بقوة، وإذا بالشيطان يمسك
شعر غاردينيا بيده اليمنى، ويجر رولا بيده اليسرى،
دخلوا، وابنتاي تطلقان عبارات الرجاء مع صوت خفقان
قلبي. صاح الجار الشيطاني بنا وهو يرميهما على أرض
غرفتي:

-أنا أراقبكم يا ملاعين.

خرج وهو يرفع سبابته تهديداً. أعاد إليّ هذا الملعون
رائحة العجز الممزجة بالأكسجين، أعاد إليّ الزمن
الثقيل وأصوات صرخات بناتي والتخيلات المكروهة

ووجع الوجع، قيّدني مجدداً بالسريير والمكان. مرت ساعة عجوزة أخرى والنحيب ينصهر في بركان الشعور. عاد هذا الوحش مرةً أخرى ليعيد اللعنة إلى جعبة الزمن.. -غداً هو الاثنين، سيأتي السيدان فجهزا نفسيكما.

خرج رامياً بعض المال بوجه رولا.

الاثنين.. ذكرني هذا اليوم بيومي المفضل في التمتع واللذة. كان يوم إذلالي للفقراء وتمتعي بممارسة العنف بالنساء، هذا اليوم هو شوكٌ حاد في صميم قلبي الأسود، يظل يتحرك ويرقص ليمزق الشرايين ويلوث الدم ويقتل كريات البيضاء. هذا اليوم بقعةٌ سوداء على جبیني، حجرٌ صلب في كبدي، هذا اليوم نسيجٌ سميك يتغلغل بين رتتي، هذا اليوم هو المفتاح الذي دخلت به عوالم الظلام والأوهام والشرور والغرور والسوموم، يوم اللعنة ها هو يعود مجدداً ولكن باختلاف المخرج والأدوار والمكان والزمان. هذه المرة سنكون الشخصيات الضعيفة والعاجزة، وسيكون السيدان آنأي السابقة، والجار مخرج المشاهد الوحشية.

قاطعت رولا بصياحها كلام نفسي معي..

-يا إلهي أين الحل..؟

عبّأت غاردينيا الصغيرة رثتها بالهواء وقالت:

-سنحاول الهرب مراراً و تكراراً ، حتى ننجح.

كنت أستمع لحديثهما الذي كنت فيه عدماً وكأني
لست أباهما! ولكن من أنا هاهنا إلا جثة لا أكثر!
رغبت بحلٍ لهما ففكرت وفكرت، بما أن الهروب
فاشل والغوص في الروتين اليومي جحيم، فلا حل سوى
بقتل الجار! ولكن من ذا الذي سيقته! أيعقل أن تقتله
رولا؟ ولكن كيف ستتحمل تأنيب الضمير؟ ستتحمل!
إن الذي تفعله يومياً أقسى من قتل شيطانٍ يستحق القتل،
ولكن هل كنت أنا أيضاً أستحق القتل في السابق؟ ربما.
لا ، لا يعقل قتله فذلك رغم كل شيء يعتبر جريمة،
ولكنه يقتلني ويقتل ابنتي وقتله دفاع عن النفس! ما
الحل يا الله؟

وكان غاردينيا الصغيرة كانت تقرأ أفكاري، قالت

لرولا الجالسة بجانبها بألم شديد:

-أختاه، لقد فقدت قلبي البارحة، أنا لست أنا، وكى
أعود لي يجب أن نخرج من هذا المستقع القذر، يجب
أن نقاوم التيار لنرى الفجر، يجب أن نفكر ونفكر و
نفكر ونفعل ما يجب فعله، لن أستسلم، فليكن الموت

راية بيضاء، أنا أتألم يا أختي العزيزة، منذ يوم واحد فقط، فكيف سأتحمل كل الأيام القادمة، أوجدي لي حلاً أو طريقاً للنهوض والخروج.
أخذت نفساً طويلاً وأكملت تفكّ العقدة:

-لقد فكرت، ولا حل سوى قطع التيار، لا حل سوى رش المستنقع بالماء، لا حل سوى قتل هذا الشيطان فكل الحلول الأخرى رياح، تشعل النار أكثر.

دهشت بكلامها، كانت تتكلم كالبالغين، كيف لها أن تتطرق بكل هذا لو لم يكن الألم العظيم شريكها في الوعي، لقد عبرت كل مستويات الألم لتصل إلى المستوى الأخير، حتى تجاوزت الشيخوخة النفسية، بيوم فقط، آه، أنا أتعذب لعذابها رغم عذابي من العجز. أنا لم أكن لي ولست لي ولن أكون لي، أنا هنا وهناك ولا هنا، أشتعل وأتوجع بشدة.

مرة أخرى شرعت غاردينيا تحكي حكاية الوجد..

-أختاه، أنا ضعيفة وعاجزة عن فعل شيء كبير كالقتل، أنا فراشة تكسّر جناحها بريح قوية، مالي سواك، أنت الوحيدة القادرة على كسر باب الحياة، أنت التي ستقتلينه، أرجوك افعليها لنرى النور مجدداً،

اقتليه من أجلي وأجلك ولنعطر الأرض من رجسه.
قالت وخبأت وجهها بين كفيها، أما رولا كانت
تصارع نفسها بقسوة، مترددةً في اختيار القرار، بين
وجعها وفكرة قتله، بين كلام أختها وضميرها،
كانت تجدف بكل قوتها لتتحرر من التيار، فكرت
طويلاً لتقول بعفوية..
-نعم، سأقتله.

ذهلت، جننت، حاولت قول أي شيء، إلا أن النطق
قدمات، و الأوتار قُطعت بالعجز، لقد فقدت قدرتي
على الكلام، وصوتي لا يسمعه أحد غيري، لا أريد أن
تكون ابنتي قاتلة، لست راغباً بضمها إلى ثلة الأشرار
ولو كان الجار يستحق. صوتي كان صامتاً ولكن أنين
الرغبة بالحديث كان عالياً، فزعت ابنتاي من أنيني،
كانت ملامح الغرابة واضحةً عليهما. كانت الحيرة
تسكنهما من رأيي بهذه الفكرة إلا أنني أيضاً لازلت
حائراً. حاولت رولا جاهدةً معرفة رأيي إلا أنها فشلت،
تركنتي وقصدت غرفتها، نظرت إلى غاردينيا، كانت
تصرخ ألماً بملامحها، وتضيع بين غضبها وهدوئها.
انفجاراً كبيراً كان يحدث بداخلها وهي التي تتبعثر
وحدها في داخله. استمررت بقلب نفسها على فصول

مشاعرها إلى أن قالت بشكلٍ مفاجئ..

-أنا سأفعلها.. إن لم تستطع رولا فعلها.

تفاجأت مجددًا، فغاردينيا التي أعرفها لا تفكر هكذا، لقد تحولت كليًا من فتاة خائفة للغاية إلى عجوز ضجرة وجريئة، من نبتة إلى غابة مظلمة، من غيمة ماطرة إلى نيزك طائش، من شلال دافئ إلى جبل جليدي، من غاردينيا إلى بركان هائج! قامت تطوف حول نفسها لترسم لي دائرة الحيرة، عادت للجلوس مجددًا حتى تعبت من المعاناة ونامت. عدت إليّ لأحدثني عن المشاهد التي سأشاهدها بحواسي وعن الأحداث التي ستحدث لو قُتل الجار على يد ابنتي، وماذا سيحدث لو حاولت ولم تستطع، وماذا سيفعل الجار بنا، وأسئلة كثيرة تدعس على وعيي بوحشية، وأجوبة تلوح من بعيد للزمان والمكان، فما لي قدرة على الكفاح، ولا لأناي حتى، فأنا المستسلم منذ الزلزال وأنا الشيطان ما قبل الزلزال، والآن أنا فريسة الأسئلة الزمنية، أسكن في دائرة محيرة بين أشباح الأسئلة وظلال المشاهد المؤجلة ولا سبيل للنجاة إذا لم أخضع لأوامر الانتظار المخجلة للإرادة.

الآن غرفتي من غرف الموت، يسودها السواد وتحدث

فيها المجازر الحسية، لها بابٌ يشخر كلما تحرك ولها نافذةٌ صغيرة يعبرها نور القمر متفتتاً إلى بقع صغيرة حتى يصل إليّ كخبزٍ منكسر على مائدة الواقع، ولها سريرٌ نحاسي صدئ، عليه جثة شيطان يتعذب عجزاً وضميراً ووجداناً، وللشيطان ثلاث بنات تشرين معه كأس العلقم، فكل إنسانٍ كؤوس من العلقم حسب زمانه ومكانه وعقله ونفسه ووجدانه، ولكل إنسانٍ ضعف، ولكل إنسانٍ رغبة في الموت في بعض الأوقات ولكن هنالك من يرغب في الموت في كل لحظاته من قوة ضخه للوجدان. هنالك من يكافح بالفن وهنالك من ييوح للورق، إلا أنا، عاجز جسدياً وروحياً. إلا أنا، ربما أنا الوحيد الذي يذكر الرب كل ثانية ليأخذ روعي من هذا الجسد والمكان والزمان، ربما أنا الوحيد الذي شعرت بعد زمن بكل ما فعلته بالإنس، ربما أنا الوحيد الخاضع لسيطرة جميع قبائل الوجدان، ربما أنا الوحيد الذي وصل إلى لب المعاناة عن طريق العجز.. أنا وأنا... ولكن لا أظن أبداً أنني العاجز الوحيد، كثيرون هم، ولكن لا أحد يشعر بهم، كثيرون هم، ولا أحد يمد لهم يد الإنسانية، كثيرون هؤلاء كما أن الشياطين أكثر. هذه غابة الشراسة، البعض أشجار تعطي الأوكسجين

فُتْقَطِعْ، والبعض ثعابين تحتضنها الكاميرا! البعض يستحق السعادة والبعض يسرق الابتسامات، البعض إنس والبعض وحوش.

طلعت شمس الاثنين بحرارة حارقة، بعد أن لملم الأحد أفكاره ومشاهده في جعبته ورحل خافضاً رأسه ذلاً. دخل الجار بيتنا المهترئ وهو يصيح بابنتي كي تجهزا نفسيهما لاقتراب مجيئ السيدين. راقبت حركات ونظرات رولا قلقاً من الأحداث الآتية. دخلت رولا المطبخ وخرجت بهدوء نحو غرفتها، تبعها غاردينيا. جاء الجار إلى غرفتي وجلس وهو يراقب ساعة اليد بلهفة، قال بعد أن أشعل سيجارته الننتة:

-اليوم هو يوم حظنا يا عجوز.

سكت، اقترب مني وابتسم ابتسامة الذئب وقال:

-لم لا تتكلم يا أبا العاهرات؟

بقي واقفاً يرمي سيجارته على وجهي، منتظراً حديثي.

أنهى السيجارة ورمى عقبها على رأسي وصاح:

-أيا عاهرة.... لم لا يتكلم هذا العجوز؟

جاءت رولا من غرفتها ويدها خلف ظهرها كأنها

تمسك بالسكين بقوة، اقتربت وقالت:

-لم يعد يستطيع النطق.

قهقهه الجار ضاحكًا ، ودنا من أذني..

-هذا أفضل ، أنت مت وأنا سأرعى العهر.

قالها وعاد بالنظر إلى الساعة ليجلس مجددًا ، واضعًا رجلاً على رجل ، رافعًا أنفه ، مشعلًا سيجارة ثانية ، بولاعة عليها صورة جمجمة. نظرت إلى رولا كانت واقفة كالصخر ، تعض جسد الجار بنظراتها الثقيلة الثاقبة ، ويدها خلف ظهرها ، تتحسس مسننات السكين الطويل ، شرعت تخطو خطواتها البطيئة نحو الجريمة ، أما غاردينيا فكانت واقفة خارج الغرفة ، تنتظر الضوء الأخضر لتشن هجومها على الزمن والمكان مع أختها. اقتربت رولا من الجار الشارد في الفراغ ، شرعت تخرج السكين من بنطالها بهدوء ، وبحركة سريعة أخرجت السكين ورفعته في الهواء لتغرسه في صمام العهر ، إلا أن القلب قد أوقف الرغبة في آخر خطوة. ظلّ السكين ملوحًا في الهواء ، منتظرًا لحظة الانطلاق. مشت اللحظات في ممر الزمن اللولبي ، ودام الجار شاردًا في اللاشيء ، وظلّ السكين يحاول كسر القيود بلمعانه ، وبقيت رولا حائرةً بين الطريقتين المظلمين ، حتى فاجأنا باب المنزل بصوته الصادر من ضربات الأيدي. تغيّر مجرى الأحداث

كلياً إلى أسوأ مما كنت أتخيله، الباب يقول لي «لقد أتى السيدان»، الهواء يحذرنا من نوبة ريح قوية، الجدران تتشقق فضولاً للذي سيحدث، الغرفة تقرع طبل الحرب، الوجود يصرخ في أذني «ابنتاك في خطر»، القلق زحف نحوي واستقر بكامل جيشه بداخلي. لحظات حادة حفرت طريقها في وعينا، ولحسن حظنا وكل الشكر لذاك الفراغ الذي أمسك الجار بقوة. دام الجار شاردًا غائبًا عن الواقع، غير سامع لصوت الباب، وهذا ما أتاح الفرصة ليعود السكين إلى مكانه، خلف رولا، قبل أن يحس الجار بما كان سيحدث لو لم يدق الباب. ذهبت غاردينيا لتفتح الباب وهي تصطنع الابتسامة، أما رولا ظلت في حالة ذهول وخوف وتردد وقلق إلى أن قام الجار من مكانه وقال بصوتٍ خافت بعد أن أدرك وصول السيدين..

-لم لازلت واقفة يا حمقاء؟

مشت رولا نحو السيدين ببطء شديد وهي تمسك الغضب بحزم، و الجار جرى مسرعاً لاستقبال السيدين، فرحاً بالكنز القادم منهما ومنا. السيدان كانا شديدا المثالية والجدية حتى أن السماء كانت أقصر من جبينهما. الأول طويلٌ وضخم البنية، أسمر البشرة وذا

عيونٍ بنية. أما الثاني عاديٌّ جداً بشكله البسيط. الأول نظر بوقاحة شديدة لغاردينيا وقرأها على مهلٍ وقال:

-هذه الصغيرة لي..

ردّ الثاني بالقبول.

وإذ بالأول فجأةً يصفع غاردينيا أمام أنظارنا جميعاً. أخفضت غاردينيا رأسها خنوعاً وضعفاً نحو الغرفة، فتبعها العملاق وهو يلوح بيديه العاريتين ماشياً بكبرياء و غرور. أمسك الآخر شعر رولا بقوة وجرها معه نحو الغرفة.

أما الجار عاد إليّ مبتسماً يفرك يديه ببعضهما، وبينما شرع بالجلوس، سمعت صوت اختناق غاردينيا كصوت إنسانٍ في يد الموت، توقف الصوت، وإذا به يعود مرةً تلو الأخرى. لكن في المرة الأخيرة كان الصوت مكتوماً بشيءٍ ما، كأنه وضع يده في حلق ابنتي غاردينيا، ثم تبع صوتها صوت رولا بنفس الدقة والتقليد. إنهما يفعلان ما كنت أفعله مع النساء بشكلٍ دقيق جداً! إنهما من فئة الشياطين الحمراء، من عبدة القسوة، من مصاصي العنف، من مفترسي الغابات المظلمة، إنهما من الذين يؤلمون الأبرياء وكأنهم أضرارٌ لعينة تؤلم النفس والجسد، فحين يمارس أحد هؤلاء طغيانه

وممارساته يجعل حدقة الشاهدين تتوسع ألباً ، وسنديان آذان السامعين يئن اضطراباً ، ونفوس الشعراء تضيع في متاهة الصور شاردة ، وأفكار العقول تتبعثر قلقاً وغضباً ، وجدران الحياة تتشقق شراً ، وسقف السماء يسقط غيظاً ، والتعبير يعجز عجزاً!.. أما هم كانوا في حالة كيميائية غريبة ، يصبحون أكثر انجرافاً بأفعالهم العدوانية ليدخلوا دون عقل في دوامة الإفرازات الكيميائية ، إنهم يدخنون المخدرات بالأفعال ، يطورون صفات الإنسان الأزلية ، ولكن من المؤسف أنهم وجدوا لتتوازن الطبيعة! ومن المؤسف أيضاً أنهم أشواك حادة بقلوب الجميع ، والأسف الأكثر للذي يشعر بالجميع ، للذي يحضن الأطفال حباً ويفهم الفقراء سمعاً وقلباً ، للذي يريد للسلام وجوداً ويريد للوجود جمالاً ، وللذي يريد للحياة سعادةً ، فهو من سيتألم ويتوجع وجداناً وضميراً أكثر من الجميع. فيا ليت هؤلاء الشياطين يسقطون في أيادي العجز كما سقطت أنا لربما تفيق ضمائرهم ، لربما يندمون!

شردت طويلاً هارباً من الواقع لأغرق أكثر في فلسفة الواقع ، فليس كل من هرب نجى ولا كل موجود في القطيع بليد. ليس الواقعي غريب إنما الواقع غربة ووحدة

ووجع. شدتتي صرخات غاردينيا الأخيرة مني، خرج الرجل الهزيل وهو يمشط شعره بأصابعه ويمسح عرقه بقميصه، أخرج ماله من جيبه ورماه بوجه الجار ورحل. مرت دقائق على رحيله فتبعه العملاق بعد أن قال للجار بفخرٍ وغرورٍ مع ابتسامةٍ عريضة:

-أرسلت الصغيرة إلى الجحيم، لا داعي لشكري..

في الثواني الأولى لم أدرك معنى قوله، ربما كانت الحقيقة أكبر من أن تستوعب بلحظات معدودة، كما أنني دائماً أختار التحليل والتفكير بدلاً من الحقيقة، ثم ما قيمة الحقيقة لو حصلنا عليها دون جهد؟! عدت بعد هنيهة إلى اللحظات الأخيرة من وجود السيد في بيتي، وبدأت أقرأ تفاصيل الفواصل والحروف والكلمات وما خلفها، وحاولت بكل جهدي رؤية ملامح المعنى وقياس طاقة الكلمات بقياس السمع، إلا أنني لم أدرك الإدراك، فخرج الجار من البيت وهو يقضم أظافره. خرجت رولا من غرفتها وملامحها مغسلة بكره الذات، قصدت غرفة غاردينيا وصرخت! هنا وفي اللاهنا، وقتها وفي اللاوقت. قصدتني فجأة قوة هائلة كإعصارٍ غاشم، شردتني في غياهب اللاوعي وفي دوامة العدم ومن ثم عادت بي إلى محطة الإدراك، لأدرك وفاة ابنتي الصغيرة، ومن ثم

دفعنتي تلك القوة إلى قعر الوجد ورمت عليّ الكثير من الأشواك المنسجمة مع بعضها على شكل كرات، ثم أعادتني إلى الواقع لأسمع عويل رولا على أختها. عويل إيقاعي على سلالم الألم، عويل يتقل الهواء على رئة الوجود، عويل يشد الواقع نحو التيه، عويل يهشم الشعر ويقضم الجمال ويقتل روح المعاني، عويل على عويل.. ماتت عويلاً أمام حواس عويل بين يدي العجز، عويل يقرع أجراس الصدى، يخترق الصوت بسرعة الضوء، عويل يذيب جليد أقطاب الخيال، عويل كنشيد الموت، عويل كصوت الناي على الصبا، عويل يطرز الألم فستاناً للزمن ويكسو المكان بصوته ويزيد المشهد سواداً.. عويل يظلّ لوحات القلب، يفرك الوجدان بين يديه، عويل عويل ثم عويل إلى عويل حتى عويل..

وضعت رولا العويل جانباً وشرعت تسرد حبها لروح أختها، تسرد حكاية الألم، وترسم متاهة حياتنا وتخبر الله أن الضوء لم يصل إلينا منذ زمن، منذ مكان، ومن ثم توقفت. أدركت أن الغضب يتسلل إليها، أتت إلي وعيناها مخبأتان خلف الدمع وملامحها مصفرة وأناملها حمراء بالدم، أتت بخطواتها الطويلة وبدأت تضرب بكفتي يديها صدري..

-قم يا أبي واحتضن ابنتك وقل لها أن روحها عذراء ،
قم يا أبي وامسح وجهها وأشعرها بالحنان والأمان ، قم يا
أبي وأرجعها إلينا ، قم يا أبي قم..

دمعتان رحيمتان خرجتا من عينيّ رغم فقداني لمقر
الدمع ، وددت التحدث ، وددت البكاء ، ولكن كل
حديثي وبكائي كانا أنيناً فقط! تعبت رولا من البوح ،
عادت إلى غاردينيا وحملتها وأتت بها إلي. رأيتها ملاكاً ،
رأيتها قطعةً من قلبي ، رأيتها مغسولةً بالدم ، ممزقةً
بالأظافر ، رأيتها لا تحرك شفتيها وعيونها مغمضة ،
شعرها مجعد وملامحها ساكنة ورتناتها لا تكبران ولا
تصفران. استغربت كيف تركتني حبيبتي الصغيرة ،
كيف فتحت الباب للموت ، كيف رحلت ، كيف تموت
وأنا لازلت أنتفس!!

وضعتها رولا بجانبني واستلقت على الجانب الآخر.
رغبت بضمهما بقوة ، رغبت بمسح دموع رولا ومسح
جبين غاردينيا ، رغبت بتقبيل غاردينيا ، رغبت ورغبت
وهذا العجز اللعين لم يمت ، لم يتركني ، لم يرحمني ،
لم يشفق علي! وسط كل هذا الألم والحزن والنحيب ،
وإذا بالجار يعود وييده اليمنى بندقية وباليسرى فأس ،
يرجف كجروٍ خرج من ماءٍ بارد ، ضغط على زناد الغضب

بصراخه..

-هياااا يا رولا ، لندفنها تحت السرير و إلا قتلتكما هنا.

لم تدرك رولا ما يعنيه الجار من كثرة أصوات غاردينيا المخزنة في أذنها وخيالها. أطلق الجار رصاصة طائشة في السقف فدارت في الغرفة حتى اختفت، أدركت رولا أنها يجب أن تفعل ذلك وتضع فكرة الانتقام جانباً، بعد أن خبأت غضبها الشديد في صدرها ليخرج فيما بعد. قامت وأخفضت رأسها وأسكتت نحيبها، مسحت دموعها بكمها، وأطلقت زفيراً من فمها، سحبت السرير من تحتي مع الجار وأخذت الفأس من يده وبدأت تحفر ودمعها يسقط ببطء على الأرض، وغضبها يحاول بشتى الطرق الإفلات منها، وأنا لازلت أحاول أن أشعر بغاردينيا بحواسي، أحاول أن أفلت من العجز لأضمها لآخر مرة قبل أن تذهب، أحاول أن أكون أباً صالحاً لجبينها قبل دفنها بما أنني لم أكن أباً جيداً، بما أنني المسبب لعذابها وحتى لموتها، بما أنني لست شيئاً، وبما أنها ستكون تحت سريري، أريد أن أحبها وأعبر عن حبي لها بكل حواسي، أريد بكل ما بي من رغبة وحب أن أطلب ذلك من الله، يا الله، يا الله، يا الله، ضع فيها

مشاعري نوراً مشرقاً، لم أعبّر لها عن حبي، لم أغلب قوة العجز، أخذوها مني دونما مقاومة، دفنوها دونما دمع، طمروها دونما صراخي! أعاد الجار السرير إلى مكانه، وعادت رولا لغرفتها تخطّط لضرب عنق العقرب، وعدت أنا إلى سكوني وعجزي، وعاد الجار إلى بيته وكان شيئاً لم يكن، وعادت الشمس للطلوع بعد رحيل القمر، وعاد الباب ليُطرق فجأةً وينادي مجزرةً أخرى.

صباحٌ آخري يأتي رغماً عنا، يأتي بقاءً جديد. الباب يدق مجدداً، وضعت رولا السكين خلفها ظناً منها أن الجار هو الآتي. فتحت الباب بهدوء وأطلقت صوت الدهشة عالياً.

-حبيبتي، اشتقت لك...

سمعتها وغلبتني الدهشة أيضاً. من هي هذه الضيفة غير ابنتي ياسمين؟ دخلت غرفتي واغرورقت عيناها، أسرعت وحضتني بقوة..

-أبي، أنا آسفة...

تحركت بداخلي خلجة السعادة إلا أن موت ابنتي الغالية غاردينيا قتل نور تلك الخلجة. لا تكبر الخلجات بداخلي إلا خلجات الحزن والألم والعجز، فيا للواقع،

كم هو قبيحٌ على الضعفاء والفقراء والأبرياء، ويا
للحزن كم هو صديقٌ وفِيٌّ لنا! ثم من لنا ضدَّ الوقت غير
البؤس والفقير، ولأكن أكثر جديةً، وليكن البؤس هو
أوكسجيننا الحقيقي في اللاحياة، والوجدان طريقنا
الطويل الشاق. كيف سأبتسم وأنا أرى ضعفي ينهشني
وينهش بناتي؟ كيف سأبتسم والأبرياء رفعوا القماش
الأبيض منذ ولادتهم ولازالوا ينشدون نشيد المعاناة على
ركامهم الداخلي؟ كيف سأبتسم وأنا أرى ركامي
الداخلي وركامي في الخارج والواقع وبدفي وجود بناتي
وفي ذاتهن وداخلهن؟ كيف سأبتسم وأنا لم أبتسم في
حياتي إلا وقتلت ابتسامات الذين كانوا أضعف مني؟
فلتُمت الابتسامة بسلام، فليبتسم الله لربما يرحمني..

ابتعدت عني وجلست وأطلقت زفيرها الطويل وعيوني
تطلق نور الحب لها. عدلت جلستها وقالت وعيونها توقفت
في مكانٍ محدد..

-ستسألني يا أبي لمَ رحلت قبل أي سؤالٍ آخر،
سأجيبك.. ونظرت إليّ بلمعان الدمع..

-رحلت باحثةً عن الحياة، عن السعادة، عن السلام،
عن الحب، عن الاستقرار، عن النقاء، ولكن...

أنزلت عينيها الكبيرتين بعد أن مسحتهما بمنديها الوردية

-ولكنني عدت إليكم الآن، فأنت لا تعلم يا أبي
 كم أن البشر في الخارج أشرار ومزيفون للغاية. يظن
 الأغنياء أن الفقراء مجرد دمي، هم يجرحونهم بشتى
 الطرق، إنهم أشرار يا أبي! يا ليتنا لم نكن من هذه الثلاثة
 في الماضي، لم أكن أشعر بهم في الماضي، كنت
 شريرة، ولكنني الآن إنسانة! إنهم جائعون، يريدون أن
 يأكلوا كل شيء، كلهم يرغبون بحكم العالم، كلهم
 يرغبون بأن يكونوا أقوياء ولكن على ظهور غيرهم،
 على قلوب غيرهم! إنهم لا يباليون بشيء، ولا يشعرون
 بالمشاعر والأحاسيس الإنسانية. كم تفاجأت حين
 رأيت أباً يأكل حياة ابنه، وحين رأيت أمًا تدمر مشاعر
 ابنتها، وحين رأيت ثلثة تقطع أصابع الحب، وحين رأيت
 مجموعات مسلحة بالأوهام والغرور تدمر قلاع السلام،
 وحين رأيت طفلاً يبكي ويبكي ويبخر دمه باحثاً عن
 الموت لأنه وحيد، مرمي في شارع الضياع. حين لاحظت
 نصر الظلام، وحين لاحظت تشرد الاتجاهات، فبوصلة
 الإنسان قد اختلت، وحين لاحظت عدم إحساس العامة
 بالموسيقى، وحين لاحظت تراكم النفايات في العقول،
 وحين سمعت أصوات منشدي الموت على عنق الحياة. فيا
 أبي القرن انمسح!

رفعت عينيها عالياً وقالت:

-في البداية قابلت شخصاً عرض عليّ المساعدة دون مقابل لكنه تحرش بي فهربت منه لمكانٍ آخر، ولكن كل الأماكن خالية من الإنسانية والوجدان. نمت معظم أيام غيابي عنكم في الشوارع، نمت وأنا نصف مستيقظة، فكل ليلة تمرّ يجب أن أحاول الفرار من البعض لشوارعٍ آخر، وقبل مدة قريبة، وبالصدفة، بينما كنت أمشيّ باحثاً عن الماء والخبز، وقع شابٌ لطيف على الأرض فساعده.

فاجأتني بابتسامةٍ بريئة، وأكملت تقول:

-لا تعلم يا أبي أنني بهذه المساعدة قد سعدت أقصى درجات السعادة، فالضعيف أو الفقير أو الإنساني سعادته تكمن في مساعدة غيره. بعد أن ساعده تعارفنا وحدثته عن قصتنا، فمد لي يد الصداقة وبعدها عبر لي عن حبه، وهو الآن ينتظرنا جميعاً لنخرج من هنا.

حرّكت عينيها في أرجاء المكان وقالت:

-أين غاردينيا ؟؟؟

بسؤالها هذا أعادتني مجدداً إلى أرض المعركة لأحارب نفسي، وأحارب الفراغ، وأستسلم للألم وللحزن.

رفعت عينيَّ نحو السقف خجلاً وضعفاً وألماً. فكثرت
سؤالها، انتظرت الجواب بغرابة وقلق، انتظرت كثيراً
حتى رماها القلق في بئر الغضب..

-أسألكم أين غاردينيا؟؟!

ردت رولا وهي تلملم نفسها المبعثرة وتتفض غبار
الضياء على قلبها..

-شعر بها الله فأخذها ليضعها في ديوانه قصيدةً، ألم
تسمعي البارحة إيقاع الفلك؟ ألم تجدي غيمةً تمطر على
مقام الصبا؟

استغربت ياسمين مما سمعته، فعادت تكرر سؤالها
بشكل عنيف، هنا جاءها الرد الأعنف. فتح الباب بشكل
همجي، إنه الجار! دخل والبندقية في يده مجدداً، تفحص
المكان بلحظة فوجد ياسمين جالسة. أطلق بلمح البصر
رصاصه ليخترق قلب الأمل، ليكسر زجاج اللقاء،
ليمزق شرايين الحياة، ليقطع أوتار موسيقى الحب، ليهز
شجرة الله المثمرة، ليثل قلاع الوقت، ليفلك الزمن نحو
اللازم، ليهدم الوجود، لنختق بالرماد. رصاصه تبكي
وهي تخطو خطواتها نحو قلب ياسمين، وصلت وخرجت
من الظهر ميتةً من الضمير. وقعت ياسمين على الأرض
تقاوم وتصارع الموت إلا أن الموت أقوى من الإنسان في

الوجود. نظرت رولا بعيون الدهشة لأختها وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة وترحل، فقفزت غضباً بقلبها وجسدها نحو الجار، ورمته على الأرض من قوة أعصابها. طارت البندقية من يده، وطارت قبعته الغريبة. أخرجت رولا السكين من خلف ظهرها وطعنت الجار دون أن تسأل الله، دون أن تسأل الوقت، دونما تفكير، دونما بكاء، دونما حذر، دونما قلق، دونما خوف، فقط برغبة شديدة وغضبٍ بركاني، فقط باللاوعي! طعنته في البطن، وأخرجت السكين لتلوح به للزمن، إلا أنها لم تُشيع غضبها فطعنته في نفس المكان مجدداً، ثم أخرجته لتطعن في مكانٍ آخر. لوح السكين للنهاية فالمقصد هو قلب الجار الأسود. لقط نفسه ثم عاد للعمل، فنزل بسرعة البرق ومزق الجلد واللحم واخرقه حتى ضرب رأسه بعظم القفص الصدري، وتوقف، كدت أبتسم إلا أن السكين لم يخترق القلب إنما كان بعيداً عنه لسنتيمترات. في هذه اللحظات، كان الأحمر اللون الأكثر وجوداً أمام الرؤية، والجار يتقيأ الدم بوجه رولا. قزحية رولا توسعت، أعصابها تلفت وجسمها ارتجف. وأنا لازلت الأكثر قراءةً للمجازر الحبرية على أوراق القلب. ياسمين قد وصلت إلى نقيض الوجود، توقف الزمن هنا

للحظات معدودة ولكن الجار صار عنيداً أمام الموت. فجأةً، لكم بقبضته حنك رولا فوقعت رولا من فوقه على الأرض ماسكةً بوجهها وهي تتألم أنيناً. زحف وزحف بكل ما تبقى له من قوة إلى أن وصل إلى البندقية، أفلك جسده باتجاه رولا، وأطلق رصاصة النهاية نحو المشاهد، اخترقت حاجز الصمت. رأيت فتحةً خلف رأس رولا، رأيت فجأةً السقوط الأخير للقلب، رأيت وسمعت ارتطام رأسها على الأرض، فيا للموت كم يحب الأبرياء! رأيت الجار يصوب البندقية نحوي بعد أن قطع كل شرايين الحياة، إلا أن الموت أخذه قبل أن يضغط على زناد البرزخ.

لحظةً دفعتني بكل قوتها لأخرج من متاهة العجز

بصراخي

-لا!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!.....

أنهيت الصراخ وعدت إلى الوعي للحظةٍ ثقيلةٍ ومن ثم تشوش وعيي ببطء فأغمضت عينيّ وفتحتهما لأرى الواقع كما هو. دمٌ وظلام وبؤس وعجز، وإذا بالله يتدخل، فجأةً، وكأنه غير مسار الزمكان وغير نوع المشاهد أو كأنه أحسّ بي ورحمني. لاحظت أنني قادرٌ على التحرك، حركت يدي فتحركت! إلا أنني لم أصدق نفسي، حركت ساقي فتحركت! اندهشت من

قصيدة الله الرائعة، ولكن القصيدة لم تنته بعد.. بدأت المفاجآت تمرّ في أنبوب الوعي واحدةً تلو الأخرى، رأيت الرؤية تتغير ألوانها وأشكالها ببطء، رأيت الدم يجف ثم يتلاشى في دهاليز البلاط، ثم رأيت الجار يتحول إلى عظام ثم إلى ركام ثم تأخذه الريح من النافذة. رأيت فتحة رأس رولا تضيق وتضيق إلى أن اختفت تمامًا، فقامت ونظرت باتجاهي وابتسمت. ومن ثم لاحظت قلب ياسمين يدق مجددًا، ففاجأتني وقامت لأندesh أكثر! وأنا لازلت غارقًا في الدهشة وإذا بيدٍ تلمس يدي، نظرت نحوها فوجدت وجه غاردينيا وهي ترتفع ببطء شديد بجانب السرير إلى أن ظهرت بكامل أوراقها وأغصانها، ابتسمت لي ابتسامة بريئة، وكأنها تراني للمرة الأولى. في هذه اللحظة الأخيرة من الدهشة لم أستطع مقاومة الصمت..

-أين أنا؟

ردت غاردينيا وهي تمسك يدي بقوة:

-أنت معنا يا أبي.

لم أصدقني ولم أصدق ما يحيط بي من الدهشة، فقممت مسرعًا أحتضن غاردينيا وأخمد نار الشوق في قلبي. بقيت أشم عبيرها دون أن أهتم بأي شيء آخر، وقبل

أن أشكر الله ، أو لربما هي صفة أزلية في الإنسان ،
فنحن نشكر بعد أن نشبع تماماً . فتحت عيني بعد أن
مضت الدقائق السعيدة سريعةً في فوهة الزمن التبعيس ،
وإذا المكان هو حديقة منزلنا القديم ! هنا بدأت أشك
في الوجود وفي الرحمة وفي اللاوعي والخيال ، هنا بدأت
أحاول أن أفلت مني ، من الجسد والمكان الملتصق بي
ومن الرؤية الكاذبة البعيدة عن الواقع التبعيس ، هنا
بدأت أريد واقعاً أسوداً أقاومه على أن أعيش في الوهم
والخدعة . هنا بدأت أدرك أنني أتخيل أو أحلم أنني أحلم .
جميل هو الحلم ولكن دون أن يأخذ الرؤية والإدراك
نحو الخدائع والأوهام . أدركت بكامل الإدراك أنني
أحلم ، وهذا ما أزعم اللاوعي ليأخذ بناحي نحو العدم من
جديد . كانت غاردينيا لا تزال قريبة جداً مني ، لاحظت
أن العدم يأخذها ببطء ، لاحظتها تتلاشى فحضنتها
مسرّعاً ، وقبلتها قبلات الأب الحنون لابنته ، قبلات الغيوم
للتراب ، إلا أنها تلاشت تماماً قبل أن أشبع ، آخر قطعة
منها كانت الوجه ، ابتسمت لي ولقلبي ورحلت . نظرت
إلى ياسمين ورولا ، كانتا تتلاشيان برائحة عطرة ،
بابتسامات بريئة ، بعيون ضاحكة ، تلاشت رولا ، إلا
أن ياسمين تلاشى نصفها وبقي نصفها ، فأسرعت تقول

بوجهها البشوش وبصوتها الرقيق..

-أبي، أحبك كثيراً، لقلبك الحنون، وأريدك أن تعرف أنني لست عاهرة ابداً، أنا لم أرح أحداً ولم أتسلط أبداً، لم أسرق ابتسامة فقير ولم أخدع بريئاً، لم أذبح عصفوراً ولم أكسر قلباً أو رغيفاً. كنت وبكل لحظات حياتي وحتى قبل رحيلي عذراء بروحي، أنا عذراء يا أبي.

قالت ما في قلبها ورحلت بهدوء إلى الهدوء. لاحظت بعد أن بقيت وحيداً أن المكان يهتز وكأن ذاك الزلزال عاد ليأخذني مجدداً إلى العجز. اهتز المكان حتى انشقت الأرض تحت قدمي. سقطت وأنا أصرخ رغم إدراكي بأنني في الحلم، ظلت أسقط حتى وصلت إلى مكانٍ آخر. سقوطي كان على أشواكٍ حادة وطويلة، لم أتألم حتى، لم أشعر بأي شيء ولا حتى بالأرض تحتي، عرفت حينها بأنني قد عدت إلى الواقع والسرير والعجز. أغمضت عيني دون أن أدرك ذلك، ثم فتحتها بحركة خفيفة، رأيت الضوء يتسلل نحو غرفتي من النافذة أدركت أن الزمن قد أمسك بي في الصباح. روائح تدخل بعنف إلى غدد الشم، بعضها غريبة لم أشمها في كل حياتي، وبعضها ننتة ومزعجة، وبعضها يثقل الدماغ على جمجمتي. رأيت

الجثث لازالت في أماكنها السابقة ، جثة الجار أمام الباب ، جثة رولا بجانبه ، ولازالت الفتحة ظاهرةً للرؤية ، جثة ياسمين بجانب سريري. الدم هو الأكثر تسلطاً على الألوان ، ووجوه الجثث صفراء كالليمون. غاردينيا لازالت تتحلل وتؤكل في قبرها ، تحت سريري ، وأنا لازلت عاجزاً ومقيداً بهذا السرير الصدئ ، لازلت جائعاً وعطشاناً بشكل لا يوصف ، حتى بدأت الخلايا تموت في داخلي من شدة الجوع والعطش. ازداد الأمر سوءاً حين امتزجت رائحة مخلفاتي بروائح الجثث. غرفةٌ وحالةٌ سيئة لا يمكن لأحد البقاء فيها برغبته ، ولكن بما أنني غير قادرٍ على إشباع الرغبة والنهوض والرحيل ، فسأنتظر الموت بكامل الصبر. ولا حتى الفراغ يمكنه أن يزعج صبري وأنا أنتظر هذا الموت الجميل ، فالموت جميل إن كانت الحياة سيئةً بنا أو دوننا ، وأنا الآن في قمة السعادة من داخلي لأنني أدرك أن لا أحد يمكنه قطع طريقي نحو الموت ، ولا حتى الأصوات ستزعجني ولا رؤية وجه أحد. بما أن بناتي الآن سعيدات وبعيدات عن الألم والواقع الحاد والجار الشيطان ، فأنا الآن سعيدٌ جداً...

* * *

الفهرس

عطسة قانونية	٥
البزق	١٧
نوبة وجودية	٢١
لا جديد	٢٧
قبل الموت بقليل	٣٣
نبوءة في التسول	٣٧
على حافة البحر	٨١
الطارق	٨٥
صباح الدمع	٩٣
العاجز والعذارى	٩٧

